

سلسلة الحكمة

أصنية الصلائر

أنطوني دو ملو

أغنية الطائر

سلسلة الحكمة 3

أنتوني دو ملو

أغنية الطائر

2000 **دستگاه**

سلسلة الحكمة 3

"أغنية الطائر"

تأليف: أنتوني دو ميلو

حقوق النشر محفوظة للمترجم

تصميم الغلاف: Alpha Dream

الطبعة الأولى، دمشق 2000

يطلب من دار مكتبة إيزيس، شارع العابد، جادة الجزائر

دمشق، ص ب: 33226، هاتف: 2322603

أو من الناشر مباشرة، 1/6، شارع ابن البيطار

القصاع، دمشق، هاتف: 4443881

كلمة الناشر

“كل واحدة من هذه القصص إنما هي عنك، لآعن آحد سواك.”

– أنتوني دو بلو

يُعتَبَرُ أنتوني دو بلو، المتوفى عام 1987 عن عمر يناهز الخامسة والخمسين، واحداً من “أهل التمكين” في الخبرة الروحية. ومؤلفاته المنشورة بلغات عديدة (ولاسيما كتابه *سادهانا: طريق إلى الله*) باتت تعرف نجاحاً متعظماً في العالم أجمع. إنه عقل عميق الأصالة، أفلح، كما لم تستطع غير قلة سواه أن تفعل، في التأليف الباطني بين المنقولات الروحية المشرقية وبين الروحانية المسيحية، وهو قلب فسيح استطاع أن يعانق الإنسانية جمعاء.

الكل يحب القصص. وفي هذا الكتاب يشارك المؤلف قراءه أضمومة من 124 حكاية مستقاة من منقولات روحية متنوعة (روسية، صينية، هندوسية، بوذية، مسيحية، إسلامية)، قديمة وحديثة. وفي كل قصة منها عبرة حياتية فريدة تلقننا حقائق

لامفرّ منها عن أنفسنا وعن عالمنا، وتفصح، على نحو ما، عن وجه من وجوه تعليم دو ملو.

يعود الترحيب العالمي الذي لقيه دو ملو إلى منظوره الفريد إلى التأمل الروحي والقدرة على الارتقاء بمراقبة النفس واكتشاف الذات. إن منظوره بحق منظور كَلِّي، يطال كل طبقات النفس البشرية، و"صوفيّته تخترق كل الأزمنة والشعوب وهي بحق دعوة عالمية،" على حد قول أحد مراجعي كتبه. إن *أغنيّة الطائر* يستخدم وسيط القصة المغرق في القدم، لكن الشعبي والفعال دائماً، لإجلاء حقائق عميقة تضعنا في تماس مباشر مع مصاعب الحياة اليومية واهتماماتها (بما هي الميدان الحقيقي للتحقّق الروحي)، كما وعلى تماس مع مسعانا الروحي الإنساني المشترك. والغاية في النهاية، كما يقول المؤلف، هي تنمية فن تدوُّق رسالة كل قصة على حدة وتصعيد الشعور بها حتى تفودنا إلى تحوّل داخلي. "اترك [القصة] تخاطب قلبك، لا دماغك،" يشير المؤلف على القارئ. "وهذا قد يجعل منك نوعاً من المتصوف."

هذا الكتاب، يزين صفحاته عدد من الرسوم اللطيفة بالحبر الصيني، كتاب يُضنُّ به، ويشارك بمحتواه، ويؤتى عليه عن آخره مرات عديدة، لأنه رفيق مؤنس على طريق التفتُّح الروحي.

إهداء

حاولت كثيراً أن أجد كلمات مناسبة أهدي من خلالها هذه الترجمة إلى أشخاص ربطني بهم ما هو أعظم بكثير من الصداقة، وقدموا لي، من بين الأشياء الكثيرة والكبيرة التي قدموا، النسخة الإنكليزية من الكتاب؛ ولم أهدت إلى الكلمات المناسبة، حتى عثرت اليوم بين أوراق قديمة لي على سطور سبق أن كتبتها عشية انقراط عقدنا الذي كنت أستشعره بشكل خفي. فليسمح لي القارئ أن أوجه، عبر هذا الكتاب، رسالة صغيرة إلى أشخاص بعينهم، يتوزعون اليوم في أنحاء متباعدة من العالم الذي لم يعد كبيراً جداً.

”إخوتي وأحبائي:

يا بعضاً من حياتي، من مسيرتي، ومن وجودي.

قد أشعر بحزن لا حد له وقد اقترب وقت الفراق! قد أشعر بألم لا يدانيه ألم... لكنه لن يستمر أبداً. فمن صميمه يتجدد فرحي وإيماني، وما من شخص في العالم أو من شيء يستطيع أن يسلبني فرحي... فرح شعوري بالوحدة مع أشخاص أقمت بينهم، أحببتهم، لكن طريقي كان مختلفاً عن طريقهم... فرح الوحدة بأشخاص لا يفصلني عنهم في العالم أي شيء لأنني وإياهم خلايا صغيرة في جسد واحد كبير، حي، أزلي، لا يفنى ونبقى ببقائه.

أريد اليوم أحبائي أن أشكركم على كل لحظة من المحبة، على كل لقاء لنا وإياه في هذه الغرفة الصغيرة التي أكتب منها الآن. أريد أن أشكركم على كل بذرة ألقيتها في نفسي أو ألقاها هو من خلالكم. وأن أشكركم على وحدة بالروح سوف تبقى حية في نفسي ولن يزيلها أي شيء.

أريد أن أقول لكم مجدداً كم أحبكم وكم سأحبكم أيضاً، وأريد أن أكتب مرة أخرى على اللوح الصغير ههنا: ”الروح يجمعنا.“

حلب 15 / 1 / 1998”

مضى عام كامل منذ ذلك اليوم، وكنت أعلم حينذاك أن وقت الفراق لم يعد بعيداً. وهأنذا اليوم أشعر بوجودكم فيّ، وأؤمن بوجودي فيكم.

إلى رلى ولطفي اللذين أهديانى الكتاب بالإنكليزية؛
إلى عماد الذي تبادلت معه عبر الشام والولايات المتحدة قصص دو ملو؛
إلى آرشو وألين وسولا وجميع من عشت بينهم أفرح وأغنى الأيام؛
إلى الأخت جاندارك وجميع أخوات يسوع الصغيرات في حلب والشام وبيروت؛
وبشكل خاص إلى صديقتي الأعز هدى؛
أهدي بمحبة خالصة هذه الترجمة.

أديب

دمشق 1999/1/6

مقدمة المترجم

كذا تتسق كلمات الأغنية :

تغني الطيور ،

تمجد الله في السماء ،

تغرد الطيور ،

تدعو إلى رب العلاء.

لنكن محبة ،

وقلوب الناس في هناء.

من أجلنا جميعاً ،

تغني الطيور.

أن نستطيع التعلم من غناء الطيور حكمة ، بل أن نقرأ في كل حدث أو قصة أو طرفة معنى عميقاً ، روحياً بالمعنى الحقيقي للكلمة ؛ ذلك ، على ما يبدو لي ، ما يريد الأب دو ملو أن يعلمنا إياه من خلال هذا الكتاب : إنها النظرة التأملية للحياة – في قلب الحياة. إنها النظرة التي تروم أن تفهم من الحياة عمقها لتستحيل رؤيا وتجربة روحية. لكننا ، فضلاً عن ذلك ، نقرأ بين سطور هذه القصص ، التي جمعها المؤلف من شتى أنحاء العالم ، شعوراً إنسانياً مرهفاً ، يحاول أن يقودنا إلى تجاوز كل الحدود التي تقيّمها الأجناس والأعراق والقوميات ، وبخاصة العقائد والأديان ، ليعلن لنا أن التراث الديني لهذا الشعب أو ذاك إنما يخص العالم أجمع ، وأن كل شيء متاح لكل من أراد.

بين سطور الكتاب نقرأ دعوة للتحرر من حواجز العقائد إلى الروح الواحد. فكما يعبر
المؤلف نفسه: من الصور والمفاهيم المختلفة عن الله، إلى الله نفسه.

أديب

حلب 1998/6/30

وُضع هذا الكتاب من أجل أناس من كل القناعات، الدينية منها وغير الدينية. غير أنني لا أستطيع أن أخفي عن قرائي أنني كاهن من الكنيسة الكاثوليكية. لقد جُلت بحرية في منقولات صوفية ليست مسيحية وليست دينية وتأثرت بها أعمق التأثر. غير أنني لا أبرح أعود إلى كنيستي، إذ إنها ملاذي الروحي. وفي حين أعني بشدة، وعلى نحو محرج أحياناً، محدوديتها وضيقها، أعلم أيضاً أنها هي التي شكّلتني وصيرتني ما أنا إياه اليوم. لها إذن أهدي ممتناً هذا الكتاب.

الكل يحب القصص، وسوف تجد الكثير منها في هذا الكتاب. قصص من البوذية، من المسيحية، من الزن، من الحصيدية، من روسيا، من الصين، من الهندوسية، ومن التصوف الإسلامي، بعضها قديم وبعضها معاصر. وهي جميعاً تتصف بالخاصية التالية: إذا قرئت بطريقة معينة خاصة فإنها تحرض نمواً روحياً.

كيف تُقرأ هذه القصص؟

هناك ثلاث طرق:

1. اقرأ القصة مرة واحدة. ثم انتقل إلى قصة أخرى. هذه الطريقة في القراءة لن تمنحك إلا التسلية.
2. اقرأ القصة مرتين. تدبّر معانيها. طبّقها على حياتك. سيهيك هذا ذائقة لاهوتية. يمكن لمثل هذا الأمر أن يتم على نحو مثمر ضمن مجموعة يتقاسم أفرادها تدبّره للقصة. بذلك تكون قد تألفت حلقة لاهوتية.
3. اقرأ القصة من جديد بعد أن تكون قد تدبّرت معانيها. أحل الصمت في دخيلة نفسك ودع القصة تكشف لك عن عمقها ومعناها الداخليين: شيء يتعدى الكلمات والخواطر. سيهيك هذا وجداناً صوفياً. أو فاحمل القصة طوال النهار واترك شذاها ونغمها يسكنانك. اتركها تخاطب قلبك، لادماغك. قد يجعل هذا منك أيضاً نوعاً من المتصوف. لقد رويت غالبية هذه القصص أصلاً بالنظر إلى هذه الغاية الصوفية.

تحذير:

معظم القصص مذيَّل بتعليق. والقصد من التعليق أن يكون عِيْنَة من نوع التعليق الذي قد تريد أنت نفسك أن تقوله. فعلقْ تعليقك الخاص. لا تحدِّ نفسك بالتعليقات الواردة في هذا الكتاب. إذ لاشيء يضطرك إلى استعارة بصيرة سواك؟^٥

حذار من تطبيق القصة على أيِّ كان سواك (كاهن، ملاً، كنييسة، جار). إن فعلت فإن القصة سوف تضرُّ بك. كل واحدة من هذه القصص إنما هي عنك، لا عن أحد سواك. عندما تقرأ الكتاب للمرة الأولى اقرأ القصص بحسب الترتيب الذي وردت عليه. فالترتيب يفصح عن تعليم وعن روح يضيعان إذا قرئت القصص كيفما اتفق.

^٥ تختلف بعض هذه التعليقات بين الترجمة الفرنسية والأصل الإنكليزي. بل إن الترجمة الفرنسية لا تخلو من بعض التصرف في أماكن كثيرة. ولقد أخذت بذلك في كثير من المواضع التي رأيت فيها أن ذلك يغني النص ويوضحه. وفي مرات نادرة أضفت تعليقات أوحى بها إليّ النص (وكذلك فعل أحد أصدقائي وهو يراجع). أما قال دو بلو إننا لسنا مضطرين إلى استعارة بصيرة غيرنا؟ (الترجم)

مفردات :

اللاهوت theology : فن رواية القصص عن الألوهة. وفن الاستماع إليها أيضاً.

التصوف mysticism : فن تذوق المعنى الباطن لمثل هذه القصص والشعور به في قلبك إلى حد يجعلها تحوّلك.

أغنية الطائر

كُلُّ ثَمَرَتِكَ أَنْتَ

شكى أحد التلاميذ ذات مرة:

“إنك تروي لنا قصصاً، لكنك لا تكشف لنا أبداً عن معناها.”

فقال المعلم:

“ما قولك لو قدم لك أحدهم ثمرة ومضعها قبل أن يعطيكها؟”

ليس بوسع أحد أن يجد عنك معنك.

ولا حتى المعلم.

فارق جوهري

قال رجل لأويس القرني:

”كيف أصبحت؟“

أجاب:

”أصبحت أحب الله، وأمسييت أحمد الله. وما تسأل عن رجل إذا أصبح ظن أنه

لا يمسي، وإذا أمسى ظن أنه لا يصبح.“

قال السائل:

”ألا يعلم الناس جميعاً ذلك؟“

فأجاب أويس:

”بلى يعلمون، لكنهم لا يعتبرون به جميعاً.“

كلمة خمر لم تُسكر أحداً قط.

أغنية الطائر

كان التلاميذ مفعمين أسئلة عن الله.

قال المعلم: "الله هو غير المعلوم وغير القابل للعلم. وكل تصريح عنه، وكل إجابة عن

أسئلتكم، إنما هما تشويه للحقيقة."

حار التلاميذ. "فلم إذن نتكلم عليه أصلاً؟"

قال المعلم: "ولم يغني الطائر؟"

ليس لأن لديه تصريحاً، بل لأن لديه أغنية.

كلمات العلامة ينبغي أن تُفهم. أما كلمات المعلم فلا ينبغي أن تُفهم. بل بالحري أن

تُسمع، كما يسمع المرء الريح تداعب الأشجار أو خرير النهر أو تغريد الطير. إنها توظف

في القلب شيئاً هو أبعد من كل معرفة.

الإبرة

أنعم الله على أحد الأولياء بموهبة النطق بلغة النمل. فدنا من نملة يبدو عليها أنها من أرباب العلم وسألها: "ماذا يشبه العليّ القدير؟ أيشبهه من وجهه ما معشر النمل؟

أجابت النملة العالمة:

"العليّ القدير؟ قطعاً لا. عندنا، معشر النمل، على ما ترى، إبرة واحدة. أما هو تعالى فعنده *ثنتان!*"

استطرد من وحي القصة:

عندما سئلت النملة العالمة عن الجنة ماذا تشبهه، أجابت بوقار: "هناك سوف نكون مثله تماماً، لكل منا إبرتان اثنتان، إنما أصغر فحسب."

ومايزال جدال مرير محتدماً بين مذاهب الفقه حول تحديد مكان الإبرة الثانية تحديداً دقيقاً على الجسم السماوي للنملة.

الفيل والجرذ

بينما كان فيل يستمتع بغطّة متمهّلة في بركة دغلية وافى البركة جرد وألحّ على الفيل أن يخرج منها.

”لن أخرج“، قال الفيل.

”أتوسل إليك أن تخرج تواءً،“ قال الجرذ.

”لماذا؟“

”لن أخبرك عن السبب قبل أن تخرج من البركة.“

”لن أخرج إذن.“

لكنه أخيراً خرج من البركة متثاقلاً، وواجه الجرذ وقال: ”حسن إذن، لم أردتني أن أخرج من البركة؟“

أجاب الجرذ: ”حتى أتأكد من أنك لست مرتدياً سروال سباحتي.“

أهون بما لا يقاس أن يدخل الفيل في سروال الجرذ من أن يدخل الله في مفاهيمنا عنه.

الحمامة الملكية

صار نصر الدين كبير وزراء الملك. وذات يوم، فيما كان يتجول في أنحاء القصر، رأى صقراً ملكياً.

لم يكن نصر الدين قد رأى قط حمامة من هذا النوع قبلئذٍ. وهكذا تناول مقصاً وقلمً مخالِبَ الصقر وجناحيه ومنقاره.

“الآن تبدو طائراً مهذباً،” قال. “لابد أن سيِّدك كان يهملك.”

“أنت مختلف، فالغلط فيك!”

مساكين رجال الدين، لا يعرفون غير العالم الذي فيه يقعون، ولا يتعلمون شيئاً ممَّن يخاطبون.

القرء بنقذ السمكة

”ما الذي تفعله بحق السماء؟“ قلت للقرء عندما رأفته ىرفع سمكة من الماء وىضعها

على شجرة.

فكان جوابه: ”أنقذها من الغرق.“

طعام زىء سم لعمرو.

الشمس التي تهب البصر للنسر تعمى البومة.

ملح وصوف في الجدول

كان نصر الدين يأخذ حملاً من الملح إلى السوق. فلما خَوَّض حماره في النهر ذاب الملح. وعندما بلغ الضفة المقابلة، طفق الحيوان يدور حول نفسه مبتهجاً بالتخفُّف من حملة. أما نصر الدين فقد تميَّز غضباً.

في يوم السوق التالي حشا الملاً خرجي الحمار صوفاً. فكاد الحمار يغرق من جراء الوزن الزائد للصوف المشيع بماء النهر.

”دونك!“ قال نصر الدين شامتاً. ”اعتبر بما حصل لك إذ حسبت أنك كلما خضت في الماء عليك أن تريح!“

شخصان سلكا في الدين. نجا أحدهما، وغرق الآخر.

”الملح“ في القصة كناية عن البركة الإلهية، والحمار يرمز إلى الإنسان. حقاً إن المرء ليحسُّ بالراحة عندما يتخفَّف من تكاليف البركة وما تتطلبه من التزام أخلاقي، لكن الحاصل هو أنه سيبقى جائعاً لأن نصر الدين لن يبيع الملح فيشتري له علفاً. أما ”الصوف“ فهو إشارة لطيفة إلى الصوفي. صحيح أن الحمار ناء طوال المسيرة الثانية بعبء الصوف المشيع بالماء، لكن الحاصل أريح له لأن نصر الدين سوف يبيع الصوف الرطب، الأوزن، بسعر أعلى من سعر الصوف الجاف.

البحث عن الحمار

تولى الناس الذعر إذ رأوا الملاً نصر الدين معتلياً حماره يكرّ عبر أزقة القرية.

”إلى أين القصد يا ملاً؟“ سألوه.

”أفتش عن حماري،“ قال الملاً وهو يمرق مسرعاً بجوارهم.

شاهد معلم الزنّ رنزيّ يفتش عن جسمه. الأمر الذي صار موضوع تنذُر مريديه غير المستنيرين.

حتى إن المرء يصادف أناساً يفتشون بجديّة عن الله!

الروحانية الحقّة

سُئِلَ المعلّم: "ما الروحانية؟"

قال: "هي ما يقلح في حمل المرء على التحوُّل الداخلي."

"فإذا طبَّقتُ المناهج المنقولة المأثورة عن المعلمين، أليس هذا التطبيق روحانية؟"

"إنه ليس كذلك إذا لم يؤدَّ غرضه من أجلك. فليس الدثار دثاراً إذا لم يدفئك."

"فالروحانية تتغير إذن؟"

"تتغير الحاجات بتغير الناس. فما كان روحانية يوماً، لم يعد كذلك. إن ما ينضوي

تحت اسم روحانية عموماً هو سجلّ المناهج السالفة ليس إلا.

لاتفصّل الشخص على الثوب، بل الثوب على الشخص.

"إن السبت جُعِلَ للإنسان، وما جُعِلَ الإنسان للسبت." (إنجيل مرقس 2: 27)

السمة الصغيرة

“المعدرة،” قالت سمكة البحر. “أنت أسنّ مني وأخبر. فهلا أخبرتني أين أجد ذلك

الشيء الذي يسمونه البحر؟”

ردت السمكة الأسنّ: “البحر هو ما أنت فيه الآن.”

“إيه، هذا؟! ” إن هذا إلا ماء. ما أريد هو البحر،” قالت السمكة الخائبة وهي تنسبح

مبتعدة لتفتش في مكان آخر.

قَدِمَ على المعلم بزيّ سنّيّاسي. وكلمه بلغة السنّيّاسي* : “سنوات وأنا أطلب الله. طلبته في

كل مكان قيل إنه فيه : على قمم الجبال، في الصحراء الشاسعة، في صمت الصومعة، وفي

أكواخ الفقراء.”

“وهل وجدته؟” سأل المعلم.

“لا، لم أجده. وأنت، هل وجدته؟”

ماذا كان بوسع المعلم أن يقول. كانت شمس المساء ترسل سهاماً من النور الذهبي داخل

الغرفة. وكانت مئات من عصافير الدوري تزقزق فوق شجرة بنيان قريبة. كان بمقدور

المرء أن يسمع جلبة السير على الطريق آتية من بعيد. وكانت بعوضة تنزّ منذرة ببدء

غارتها... ومع ذلك استطاع هذا الرجل أن يجلس هناك ويقول إنه لم يجد الله.

* كلمة سنسكريتية تعني من زهد في الدنيا وترهب طالباً التحقق الروحي. (المترجم)

وما هي إلا برهة حتى غادر خائباً ليفتش في مكان آخر.

*

كفاك بحثاً أيتها السمكة الصغيرة. ليس ثمة ما تفتش به عنه.

كل ما عليك هو أن تنظري وحسب.

يقول الحلاج:

وأَيُّ الأَرْضِ تخلو منك حتى تعالوا يطلبونك في السماء
تراهم ينظرون إليك جهراً وهم لا يبصرون من العماء

هل سمعت ذلك الطائر يغني؟

صاغت الهند الهندوسية صورة بديعة لوصف علاقة الله بالخلق. إن الله "يرقص" الخلق. الله هو الراقص والخلق رقصته. الرقصة مختلفة عن الراقص، غير أن لوجود لها بدونه. ليس بمقدورك أن تحملها إلى البيت في علبة إذا راققت لك. فما إن يكف الراقص عن رقصه حتى تنعدم الرقصة.

في طلبنا لله نفرط في التفكير، ونفرط في التفكير، ونفرط في الكلام. وحتى عندما ننظر إلى هذه الرقصة التي ندعوها الخلق، نفكر، نتكلم (مع أنفسنا ومع الآخرين)، نتفكر، نحلل، نتفلسف طوال الوقت. كلمات، كلمات... ضجيج، ضجيج...

البث صامتاً وشاهد الرقصة. انظر فحسب: نجمة، زهرة، ورقة شجر ذابلة، طائر، حجر... أي جزء من الرقصة يفني بالعرض. أنظر. أصغ. شم. المس. ثق. وبعونه لن يطول بك الأمر حتى تراه... الراقص نفسه!

كان التلميذ دائم التشكي لمعلمه: "إنك تحجب عني سرّ الزنّ الأعظم." وما كان ليقتبل إنكار المعلم.

ذات يوم، بينما كانا سائرين على التلال، سمعا طائراً يغني.

"هل سمعت ذلك الطائر يغني؟" قال المعلم.

"نعم،" قال التلميذ.

”حسن. فأنت تعلم الآن أنني لم أحجب عنك شيئاً.“

”نعم.“

لو أنك سمعت حقاً طائراً يغني، لو أنك رأيت حقاً شجرة ... لعرفت. فيما يتعدى الكلمات والتصورات.

ما الذي قلت؟ سبق لك أن سمعت عشرات الطيور ورأيت مئات الأشجار. آه، هل كان ما رأيت هو الشجرة أم الاسم؟ إذا نظرت إلى شجرة فرأيت شجرة، فأنت لم تر الشجرة حقاً. أما إذا نظرت إلى شجرة ورأيت معجزة، إذ ذاك، أخيراً، فقد رأيت! أفما امتلأ قلبك قط بذهول لا يوصف إذ سمعت طائراً يغني؟

أقطع الحطب!

عندما بلغ معلم الزن الاستنارة كتب السطور التالية احتفاءً بذلك:

”يا للروعة المذهلة:

أقطع الحطب!

أسحب الماء من البئر!”

بعد الاستنارة لاشيء يتغير حقاً. ماتزال الشجرة شجرة، والناس تماماً هم ما كانوا من قبل، وكذلك أنت. قد تظل على ما كنت عليه من تقلب المزاج أو هدوء الطبع، من الحكمة أو الحمق. الفرق الواحد هو أنك ترى الأشياء بعين مختلفة. أنت أكثر زهداً بكل شيء الآن. أما قلبك فملؤه العجب.

ذلك جوهر المشاهدة: حس العجب.

المشاهدة تختلف عن الجذب في أن الجذب يؤدي إلى الانسحاب. أما المشاهد المستنير فيواصل قطع الحطب وسحب الماء من البئر. المشاهدة مختلفة عن الإدراك الجمالي في أن إدراك الجمال (لوحة أو غروب) يولد سروراً جمالياً، بينما تولد المشاهدة عجباً، أكان الشيء المشاهد غروباً أم حجراً.

بذلك يمتاز الأطفال. إنهم أغلب الوقت في حالة عجب. لذا فهم يسران ما ينسلون في الملكوت.

أعواد الخيزران

أقعى براوني، كلبنا، ينظر إلى أعلى الشجرة، منتصب الأذنين، يبصص بذيله المشدود. كان يراقب قرداً. ما من خاطر كان يشتت تركيزه التام، ما من اهتمام بالغد. لقد كان براوني أقرب ما رأيت طوال حياتي إلى التأمل الخالص.

لعلك اختبرت شيئاً من هذا بنفسك عندما كنت منهمكاً تماماً في مراقبة قطة تلعب. هي ذي صيغة للتأمل، لا تقل جودة عن أية صيغة أخرى أعرفها: كن بجملتك في الحاضر. تخلّ عن كل فكرة تتعلق بالمستقبل، وعن كل فكرة تخص الماضي، أهمل كل صورة وكل تجريد، وتعال إلى الحاضر. لحظتئذٍ ينبثق الاستغراق!

بعد سنوات من التدريب، توسل التلميذ إلى معلمه أن يهبه الاستنارة. اصطحبه المعلم إلى أيكّة خيزران وقال: "أوترى هذه الخيزرانة، كم هي طويلة؟ أوترى تلك الأخرى، كم هي قصيرة؟" واستنار التلميذ من فوره.

يحكى أن البوذا مارس كل أنواع الزهد المعروفة في الهند في زمانه، مجاهداً لبلوغ الاستنارة. ولكن بدون جدوى. وذات يوم، فيما هو جالس تحت شجرة بودهي حصلت الاستنارة. ولقد نقل لتلاميذه سرّها بكلمات لا بد أنها تبدو غريبة لغير المسارّين: "عندما

تشهقون شهيقاً عميقاً، يا رهبان، عُوا أنكم تشهقون بعمق. وعندما تشهقون شهيقاً ضحلاً، يا رهبان، عُوا أنكم تشهقون بضحالة، وعندما تشهقون شهيقاً متوسط الحجم، يا رهبان، عُوا أنكم تشهقون شهيقاً متوسط الحجم. " الوعي. الانتباه. الاستغراق.

هذا النوع من الاستغراق يلاحظه المرء عند الأطفال الصغار.

ما أقربهم من الملكوت!

الوعي الدائم

ما من مرید فی الزنّ یجرؤ علی تعلیم الآخرین حتی یمکث مع معلّمه عشر سنوات علی الأقل.

فلما أنهی تنوّ سنوات التعلّم العشر بلغ مرتبة الأستاذیة. ذات یوم، ذهب لزیارة المعلم نان-إن. كان یوماً مطیراً، لذا انتعل تنوّ قبقاباً خشبياً وحمل مظلة.

عندما وصل استقبله نان-إن قائلاً: "لقد تركت قبقابك الخشبي ومظلتك في الرواق، ألیس كذلك؟ قل لی، هل وضعت مظلتك علی یمین القبقاب أم علی شماله؟"

وأسقط فی ید تنوّ، إن إنه لم یعرف الجواب. لقد أدرك أنه ناقص الوعي. لذا صار تلمیذاً لنان-إن وجاهد عشر سنوات آخر لكي یبلغ الوعي الدائم.

الشخص الدائم الوعي: الشخص الحاضر بجملته فی كل لحظة: هوذا المعلم!

القداسة في اللحظة الحاضرة

سُئِلَ اليونا ذات مرة: "ما الذي يجعل المرء قديساً؟" فأجاب: "تنقسم كل ساعة إلى عدد معين من اللحظات، وكل لحظة إلى عدد من الأجزاء. فمن يستطيع أن يكون حاضراً بالكلية في كل جزء من اللحظة قديس."

وقع المحارب الياباني في أسر أعدائه وألقي في السجن. وفي الليل لم يغمض له جفن، إذ كان واثقاً أنه سيُعذَّب في الصباح التالي.

إلا أن كلمات معلمه ما لبثت أن خطرت بباله:
"ليس الغد حقيقياً. الحقيقة الوحيدة هي الآن."

بذلك جاء إلى الحاضر واستغرق في النوم.

ما أشبه من يفلت من قبضة المستقبل بطيور السماء وبزنايق الحقل!
لا مخاوف من الغد. حضور تام في الآن. قداسة!

أجراس المعبد

شُيِّدَ المعبد على جزيرة وتُصَبّ فيه ألف جرس. أجراس كبيرة وأخرى صغيرة، صاغها أمهر صناع العالم. فعندما كانت تهب ريح أو تتور عاصفة كانت كل الأجراس تجلجل في سيمفونية ينخطف لها قلب المستمع طرباً.

لكن الجزيرة ما لبثت على كرّ القرون أن غرقت في البحر، والمعبد وأجراسه معها. بيد أن أسطورة قديمة تروي أن الأجراس ظلت تجلجل بغير انقطاع بحيث يمكن لكل من يود الإصغاء أن يسمعها. استلهم شاب هذه الأسطورة وارتحل آلاف الفراسخ، عاقداً العزم على سماع هذه الأجراس. جلس أياماً على الشاطئ، مواجهاً الجزيرة المتوارية، مصيحاً السمع بكل قوته. لكن كل ما استطاع سماعه كان صوت البحر. وبذل قصارى جهده لكي يبعده، إنما بلا جدوى، إذ بدا صوت البحر غامراً العالم.

وظلّ على دأبه أسابيع. وفي كل مرة يدبّ التخاذل في قلبه كان يصغي لشيوخ القرية يتكلمون متلذذين على الأسطورة الغامضة.

وإذ ذاك كان قلبه يتقد ... ليعود مثبط الهمة من جديد عندما لا تورثه أسابيع من مزيد الجهد غير الخيبة.

قرر أخيراً التخلي عن المحاولة. فلعله غير مقدّر له أن يسمع الأجراس. ولعل الأسطورة لم تكن صحيحة. كان ذلك يومه الأخير، فذهب إلى الشاطئ ليودّع البحر والسماء والريح وأشجار جوز الهند. استلقى على الرمل، وللمرة الأولى أصغى إلى

صوت البحر. وسرعان ما بلغ من الاستغراق في الصوت حداً كاد معه يغيب عن نفسه،
من فرط عمق الصمت الذي ولده الصوت.

ومن عمق ذلك الصمت، سمعه! رنين جرس ضئيل تبعه آخر، ثم آخر، وآخر...
وسرعان ما كان كل من الأجراس الألف يجلجل بتناغم، وانخطف قلبه في غبطة
الوَجْد.

أوتتمنى سماع صوت أجراس المعبد؟ ألا اصغِ إلى صوت البحر.

أوتتمنى أن تلمح وجه الله؟ ألا أمعن النظر في الخليقة.

الكلمة صار جسداً

في إنجيل القديس يوحنا نقرأ:

”الكلمة صار جسداً فسكن بيننا... به كان كل شيء وبدونه ما كان شيء مما كان. فيه كانت الحياة والحياة نور الناس. والنور يشرق في الظلمات، ولم تدركه الظلمات.“

انظر بثبات إلى *الظلام*، ولن يطول بك الأمر حتى ترى *النور*. حدِّق في الأشياء، ولن يطول بك الأمر حتى ترى *الكلمة*.

الكلمة صار جسداً، فسكن بيننا...

وأوقف هذه الجهود اللاهثة لتحويل الجسد مجدداً إلى كلمات. كلمات، كلمات، كلمات!

الوثن البشري

قصة هندوسية قديمة:

قذف الموج تاجراً نجا من الغرق على شاطئ سيلان حيث كان فبهيشانا ملكاً على الغيلان. فعندما رآه فبهيشانا استطار قلبه فرحاً وقال: "آه! إنه ليشبه إلهي راما تمام الشبه. صورتها البشرية هي هي." ثم ما عتم أن أمر بأن تُخلع على التاجر ثياب وحلي نفيسة واتخذة إلهاً.

يقول الروحاني الهندوسي الكبير راماكشنا: "لدى سماعي هذه القصة للمرة الأولى شعرت بمسرة لا توصف. إذا كانت عبادة الله ممكنة في صور من الطين، أفلا يُعبد بالبحري في الناس؟"

التفتيش في الموضع الخاطئ

وجد أحد الجيران نصر الدين جاثياً على يديه وركبتيه.

”عم تفتش يا ملا؟“

”عن مفتاحي.“

وسرعان ما تجمع رهط من الجيران على الركب يشاركون الملاً التفتيش. حتى قال

الجار الأول وقد أعياه البحث: ”أين أضعته؟“

”في البيت.“

رباه! ولم تفتش هنا إن؟“

”لأن الضوء هنا أقوى.“

ماذا يجديني نفعاً أن أفتش عن الله في الأماكن المقدسة وقد أضعته في قلبي؟

فتش عن الله حيث أضعته.

السؤال

سأل الراهب: "هذه الجبال والأنهار والأرض والنجوم كلها - من أين جاءت؟"

فقال المعلم: "وسؤالك من أين جاء؟"

فُتِّش في الداخل!

صنّاع اللصاقات

كالخمرة المسكرة هي الحياة. بوسع الجميع قراءة اللصاقة على الزجاجاة. لكن قلة نادرة تتذوق الخمرة نفسها.

عرض البونا ذات مرة زهرة على تلاميذه وسأل كلاً منهم أن يقول شيئاً فيها. ألقى أحدهم محاضرة. ونظم آخر قصيدة. وواحد آخر قال مثلاً. حاول كل منهم أن يبرز الآخر عمقاً وفقهاً.
صنّاع لصاقات!

ابتسم ماهاكاشياب ولم يفه بشيء. وحده فقط رأى الزهرة.

ليتني أذوق عصفوراً،

زهرة،

شجرة،

وجه إنسان!

لكني، للأسف، لا وقت عندي! طاقتي مصروفة في تفسير اللصاقة.

الورد

عاد الصوفي من الصحراء. قيل له: "أخبرنا، ماذا يشبه الله؟"

ولكن أتى له أن يخبرهم ما اختبره في قلبه؟ وهل يُحشّر الله في كلمات؟

أخيراً رأى أن يلقتهم ورداً – ما أبعدته عن الصحة، وما أقصره عن التعبير – لعل بعضهم يغريه أن يختبر الأمر بنفسه ...

لكنهم تلقفوا الورد. جعلوه نصاً مقدساً. فرضوه على غيرهم كمعتقد مقدس. واحتملوا مشقات نشره في البلاد الغريبة. حتى إن بعضهم بذل حياته من أجله.

حزن الصوفي. لعله كان من الخير لو لم يقل شيئاً.

الروح يحيي أما الحرف فيميت.

المستكشف

عاد الرحالة المستكشف إلى قومه، الذين كانوا تواقين لمعرفة شيء عن الأمازون. ولكن أتى له أن يعرب بكلمات عن المشاعر التي فاضت في قلبه حين رأى الأزهار الغريبة وسمع أصوات الليل في الغابة، حين أحس بخطر الحيوانات المفترسة، أو جدف بقاربه عبر منحدرات النهر الغادرة؟

قال لهم: "انهبوا واكتشفوا بأنفسكم." ثم رسم لهم خارطة للنهر ترشدهم. أما هم فقد انقضوا على الخارطة، وأطروها في دار البلدية، ثم استنسخوها. فكل من امتلك واحدة لنفسه ظن نفسه خبيراً بالنهر. أليس يعرف كل منعطف وانحناء فيه؟ أليس يعرف مقدار عرض النهر وعمقه؟ أليس يحفظ غيباً أماكن الانحدار فيه ومواضع الشلالات؟

يقال إن البوذا كان يمتنع بإصرار عن الانسياق إلى الكلام على الله.
أغلب الظن أنه كان عالماً بمخاطر رسم الخرائط للمستكشفين النظريين.

توما الأكويني يتوقف عن الكتابة

يروى أن توما الأكويني، واحد من أحنق اللاهوتيين في العالم، توقف فجأة عن الكتابة. وعندما شكّا إليه أمينُ سرّه بأن عمله لم يكن قد انتهى بعد، أجاب: "أيها الأخ ريجنالد، لقد اختبرت منذ بضعة شهور شيئاً عن المطلق، بحيث أن كل ما كتبت في حياتي عن الله يبدو لي قبض الريح."

كيف يمكن أن يكون الأمر على غير ذلك حين يصبح العالم رائيّاً؟

عندما انحدر الصوفي من الجبل بادره الملحد قائلاً بتهكم: "ماذا جلبت إلينا من جنّة السرّات التي كنتَ فيها؟"

أجاب الصوفي: "كنت أنوي ملء إزاري أزهاراً أقدمها لأحبائي لدى عودتي. لكنني إن كنتُ هناك سكرتُ بعبير الجنة فأفلت الإزار."

يعبر معلّم الزن عن ذلك بإيجاز بليغ: "العارف لا يتكلم، المتكلم لا يعرف."

ويقول أبو يزيد البسطامي: "أبعد الخلق من الله أكثرهم إشارة إليه."

الدرويش المتوجع

كان أحد الدراويش جالساً بسلام قرب النهر، حين رأى عابراً سبيل قذالته المكشوف واستسلم لإغراء صفعه صفعةً مدوية. ولقد امتلأ عجباً من صوت كفه على الرقبة المكتنزة، لكن الدرويش المتوجع هبّ واقفاً ليردّ له الصفعة.

“رويدك،” قال المعتدي. “تستطيع صفعي إن شئت. إنما أجبني أولاً على هذا السؤال: هل كان صوت الصفعة ناجماً عن يدي أم عن قذالك؟”

قال الدرويش: “أجب عن ذلك أنت. إن وجعي لن يسمح لي بالتنظير. بوسعك أن تهتم بذلك لأنك لا تحس بما أحس.”

عندما يُختبر الإله يتناقص إلى حد كبير نزوع المرء للتنظير.

نغمة واحدة من الحكمة

لا يعرف أحد ما الذي جرى لكاكوا بعد أن غادر حضرة الإمبراطور. وإليكم القصة:
كان كاكوا أول ياباني يدرس الزن في الصين. لم يسافر البتة. بل تأمل بدأب وحسب.
وكان كلما وقع عليه الناس وسألوه الموعظة يقول بضع كلمات ويهرب إلى موضع آخر
من الغابة حيث لا يزعجه أحد.

وإن عاد إلى اليابان سمع به الإمبراطور وأمره بأن يعظ في البلاط. وقف كاكوا صامتاً
عاجزاً. ثم أخرج نايماً من بين ثنايا رداءه، وعزف عليه نغمة قصيرة واحدة، ثم
انحنى باحترام أمام الإمبراطور، وتوارى.

يقول كونفوشيوس: "في عدم تعليم شخص ناضج تفريط فيه. في تعليم شخص غير ناضج
تفريط في الكلمات."

ماذا نقول؟

يطبع المعلم حكمته في قلوب تلاميذه، لا في صفحات كتاب. وقد يحدث أن يحمل التلميذ هذه الحكمة ثلاثين أو أربعين عاماً، مكنونة في قلبه، حتى يلتقي أحداً مستعداً لاستقبالها. هكذا كان تقليد الزن.

ذات يوم أرسل معلّم الزن مو-نن في طلب تلميذه شوجو وقال: "لقد شختُ يا شوجو، وأنت من سيواصل من بعدي هذا التعليم. إليك هذا الكتاب الذي انتقل من يد معلّم إلى يد آخر عبر سبعة أجيال. لقد أضفت أنا نفسي إليه بعض الشروح التي ستجدها قيمة. هاك، احتفظ به علامة على أنني جعلتك خليفتي."

فقال شوجو: "خير لك أن تحتفظ بالكتاب لنفسك. لقد أخذت عنك الزن دون معونة كلمات مكتوبة وإني لجدّ راضٍ بأن يظل الأمر على هذا النحو."

أجابه مو-نن بحلم: "أعرف، أعرف. مع ذلك فإن هذا الكتاب قد خدم سبعة أجيال وقد يكون عوناً لك أنت أيضاً. إليك، احتفظ به."

ولقد اتفق أنهما كانا يتحدثان قرب الموقد. وفي اللحظة التي مس فيها الكتاب يد شوجو رمى به إلى النار. لم تكن به شهوة للكلمات المكتوبة.

أما مو-نن الذي لم يُعرف عنه من قبل قط أنه غضب فقد صاح: "لابد أنك أحمق! ماذا تفعل؟"

ورد شوجو صائحاً: "بل أنت هو الأحمق! ماذا تقول؟"

يتكلم الغورو كمن له سلطان عما اختبر هو نفسه، ولا يستشهد أبداً بالكتب.

الشيطان وصديقه

ذهب الشيطان مرة في نزهة مع صديق له. فأبصرا أمامهما رجلاً ينحني ويلتقط شيئاً من الأرض.

سأل الصديق: "ماذا وجد هذا الرجل؟"

فقال الشيطان: "قطعة حقيقة."

سأل الصديق: "أفلا يزعجك ذلك؟"

فأجابه الشيطان: "لا. فسوف أدعه يجعل منها معتقداً."

المعتقد الديني شاخصة تشير إلى الطريق إلى الحقيقة. عندما تتشبهت بالشاخصة تحول دونك والسير قُدماً نحو الحقيقة لأنك تظن أنها بحوزتك أصلاً.

مان نصر الدين

كان نصر الدين فلسفي المزاج: "الحياة والموت - من يستطيع أن يقول ما هما؟" وسمعته عرضاً زوجة التي كانت مشغولة بالمطبخ فقالت: "كلكم سواء أيها الرجال، تفتقرون تماماً إلى الحسّ العملي. بوسع أيّ كان أن يقطع بأنه عندما تيبس أطراف المرء وتبرد يكون قد مات."

أعجب نصر الدين بحكمة زوجة العملية. وذات مرة، بينما كان خارجاً في ثلج الشتاء، شعر بيديه ورجليه تخصر برداً. فخطر له: "لا بد أنني ميت." ثم خطر بباله خاطر آخر: "ماذا أفعل راثحاً غادياً وأنا ميت؟ ينبغي أن أكون ممدداً أرضاً ككل الجثث." وذلك ما فعل.

بعد ساعة من الوقت، إذ وقع عليه فريق من المسافرين على جانب الطريق بدؤوا يتجادلون فيما إذا كان حياً أو ميتاً. أما نصر الدين فكان يتحرق إلى الصراخ: "ألا ترون يا حمقى أن أطرافي باردة وبابسة؟" إلا أنه كان أوعى من أن يقول ذلك، إذ إن الجثث لا تنطق.

خلص المسافرون أخيراً أنه ميت، ورفعوا الجثة على أكتافهم وهم ينتوون نقلها إلى المقبرة للدفن. وما كادوا يبتعدون قليلاً حتى وصلوا إلى مفترق طريقين. وللحال نشب بينهم جدال شديد حول أي الطريقين تؤدي إلى المقبرة. احتمل نصر الدين منهم ذلك حتى نفذ صبره. ثم استوى جالساً وقال: "عذراً منكم أيها السادة، لكن الطريق إلى

المقبرة هي التي على شمالكم. أعلم أن الجثث لا تنطق، لكني خالفت القاعدة هذه المرة فقط وأعدكم بأن لا يحدث ذلك مرة أخرى.”

عندما تصطدم الحقيقة بمعتقد صلب، فإن الحقيقة هي الخاسرة عموماً.
من جهة أخرى، فإن كون المرء حياً من الوجهة السريرية لا يعني أبداً أنه حيّ من
الوجهة الإدراكية. والمنطق والفلسفة لن يجدياه فتيلاً في بلوغ الإدراك.

عظام لامتحان إيماننا

استوقف أحد العلماء ذات مرة فقيهاً مسيحياً كان يعتقد بصحة حرفية الكتاب وقال له: "خُلقت الأرض بحسب الكتاب قبل حوالي خمسة آلاف سنة. لكننا اكتشفنا عظاماً تشير لوجود الحياة على الأرض قبل مليون سنة."

فكان جواب الفقيه على رأس لسانه: "لما خلق الله الأرض قبل خمسة آلاف سنة، تعمّد وضع تلك العظام لكي يمتحن إيماننا ويرى إن كنا سنؤمن بكلامه أم بالبرهان العلمي."

برهان آخر على أن العقائد الصلبة تقود إلى تشويه الحقيقة.

لماذا يموت الصالحون؟

كان واعظ القرية في زيارة لإحدى رعاياه المسنات، وحول فنجان قهوة كان يجيب على بعض الأسئلة التي تطرحها عليه الجدة.

سألت المرأة العجوز: "لماذا يبتلينا الرب بالأوبئة بين وقت وآخر؟"

فأجابها الواعظ: "حسناً. أحياناً يصير الناس من الشر بحيث يجب إزالتهم. لذلك يسمح الرب الصالح بنزول الأوبئة."

اعترضت الجدة: "ولكن إذا كان الأمر على ما تقول لماذا يُزال هذا العدد من الصالحين مع الطالحين؟"

"الصالحون منهم يُستدعون للشهادة. فالرب يريد لكل نفس محاكمة عادلة."

ما من أمر إلا ويستطيع صاحب المعتقد الجامد أن يجد له تفسيراً.

المعلم لا يعرف

دنا الطالب من التلميذ وسأل باحترام: "ما هو معنى الحياة الإنسانية؟"

رجع التلميذ إلى مؤلفات معلمه وأجاب بثقة: "ليست الحياة الإنسانية إلا التعبير عن

كرم الله."

وعندما توجه الطالب إلى المعلم بذاته بالسؤال عينه أجاب المعلم: "لا أعرف."

يقول الطالب "لا أعرف" من قبيل النزاهة. يقول المعلم "لا أعرف" من قبيل العقل الصوفي

الذي يعرف الأشياء عبر اللامعرفة. يقول التلميذ "أعرف" من قبيل الجهل على هيئة

معرفة مستعارة.

حدِّقْ في عينيهِ

قال قائد قوات الاحتلال لعمدة القرية الجبلية: "نعلم أنكم تخبئون خائناً. فإذا لم

تسلمه إلينا سوف نتحرش بك ويقومك بكل ما أوتينا من وسائل."

كانت القرية تخفي بالفعل رجلاً بدا صالحاً وبريئاً وكان محبوباً من الجميع. ولكن ماذا كان بوسع العمدة أن يعمل الآن وسلامة القرية في خطر؟ لم تؤدَّ أيام من المناقشات في مجلس القرية إلى نتيجة. لذا أخذ العمدة أخيراً الأمر على عاتقه مع الكاهن. وقضى الإثنان ليلة كاملة يفتشان في الكتب المقدسة حتى توصلا أخيراً إلى النص الذي يقول: "خير لكم أن يموت رجل واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة بأسرها." (يوحنا 11:

50)

وهكذا سلّم العمدة الرجل البريء الذي تردد صدى صراخه عبر القرية وهو يُعدَّب ويُعدم.

بعد عشرين عاماً جاء القرية نبي وذهب مباشرة إلى العمدة وقال: "ويحك، ماذا فعلت؟ كان ذلك الرجل مرسلًا من الله ليكون مخلصاً هذه البلاد، وأنت أسلمته للتعذيب والقتل."

دافع العمدة عن نفسه قائلاً: "ولكن فيمَ أخطأت؟ لقد نظرت والكاهن في الكتب وفعلنا ما تأمر به."

أجابه النبي: "هذا ما أخطأت فيه. لقد نظرت في الكتاب، وكان عليك بالحرى أن تنظر في عينيه."

"خير أن يموت رجل واحد عن الشعب"، يقول الكتاب. وها نحن ننفذ كل يوم ما يقول الكتاب. "أحبب قريبك كنفسك"، يقول الكتاب أيضاً – حقيقة غالباً ما نتناساها.

قمم من القبور المصرية

عُثِرَ في قبر أحد ملوك مصر القديمة على حفنة قمح عمره خمسة آلاف عام. قام أحدهم بزرع الحبوب، ويا لدهشة الجميع عندما أنتشت هذه الحبوب.

عندما يستنير شخص تصير كلماته كالبدور مليئة بالحياة والطاقة. ويمكنها أن تبقى قروناً على هيئة بذور حتى تُبَدَّر في قلب قابل، خصيب.

كنت أحسب أن كلمات الكتب المقدسة قد ماتت وبيست. لكنني أعلم الآن أنها ممتلئة طاقة وحياة. غير أن قلبي هو الذي كان متحجراً وميتاً، فكيف يمكن أن ينتش فيه شيء؟

تعديل الكتب المقدسة

قال أحدهم للبوزا: "الأمر التي تعلمها، سيدي، لم أجدتها في الكتب المقدسة."

"ضفها إذن عليها،" قال البوزا.

وبعد هنيهة صمت حرج مضى الرجل قائلاً: "هل لي أن أجتراً عليك سيدي فأقول إن

بعض الأمور التي تعلم يناقض الكتب المقدسة فعلاً؟"

فقال البوزا: "تحتاج الكتب إذن إلى بعض التصحيح."

*

اقترح في الأمم المتحدة أن تراجع الكتب المقدسة لكل دين، وأن يُحذف منها كل ما يقود إلى التعصب أو القسوة، وأن يُتلف كل ما يسيء إلى كرامة الإنسان.

وعندما وُجد أن صاحب الاقتراح هو يسوع المسيح، اندفع المراسلون إلى محل إقامته. أما تفسيره فكان بسيطاً إذ قال: "الكتاب المقدس، كالمسبب؛ فهو للإنسان، وليس الإنسان للكتاب المقدس."

المحترفون

تولّى المحترفون أمر حياتي الدينية. فلكي أتعلم الصلاة أحتاج إلى مرشد روحي، ولكي أكتشف إرادة الله فيّ أستشير خبيراً في التمييز، ولكي أفهم الكتاب المقدس أستشير أستاذاً في الكُتُب، ولكي أعرف إذا كنت ارتكبت معصية أم لا أحتاج إلى لاهوتي اختصاصي في الأخلاق، ولكي أحصل على غفران معاصي أعترف أمام الكاهن.

أقام أحد الملوك المحليين في جزر بحر الجنوب مأدبة على شرف ضيف مميز من الغرب.

وعندما حان وقت التّناء على الضيف لبث جلالته جالساً على الأرض بينما راح خطيب محترف، كلّف خصيصاً للمناسبة، يمتدح الزائر.

بعد انتهاء المدايح همّ الضيف بالنهوض متكلماً. لكن الملك منعه بلطف قائلاً: "لا حاجة إلى نهوضك. فقد كلّفتُ خطيباً لك أيضاً. ففي جزيرتنا، لا نترك أمر الخطب العلنية للهواة."

أتساءل: ألا يحلو في عين الله أن أكون في علاقتي معه هاوياً أكثر مني محترفاً؟

الخبراء

حكاية صوفية:

عاد رجل ميت إلى الحياة فجأة وبدأ يقرع بشدة غطاء التابوت.

رُفِعَ الغطاء وانتصب الرجل واقفاً وقال للحشد المتجمع: "ماذا تفعلون؟ أنا لست ميتاً."

قوبلت كلماته بإنكار صامت. أخيراً قال أحد المشيِّعين: "يا صاح، صدَّق الأطباء والكهنة جميعاً أنك ميت. فأنت ميت قطعاً."

ودُفِنَ الرجل على ما ينبغي.

رحمك الله أيها الرجل الطيب!

ثمة أحياء كثر تدفنهم كل يوم غباوة موتى القلب والفكر. ومع ذلك يبقى الحيّ حياً – وإن دُفِنَ، ويبقى الميت ميتاً وهو في الحياة... حتى اليوم الذي تلمسه فيه الحياة.

حساء حساء البطة

جاء أحد أقارب نصر الدين زائراً جالباً معه بطة كهديّة. وهكذا فقد طُهي الطائر وأكل مع الضيف.

وسرعان ما طفق زائر طفيلي في إثر آخر يعرّج على بيت نصر الدين، وكل منهم يزعم أنه صديق صديق "الرجل الذي جاءك بالبطة"، متوقفاً بالطبع أن يُطعم ويُقرى من جراء تلك البطة المنكودة الحظ.

أخيراً عيل صبر الملاء، إذ قدم عليه ذات يوم رجل غريب قائلاً: "أنا صديق صديق قريبك الذي جاءك بالبطة." ومثل الآخرين جلس متوقفاً أن يُطعم.

وضع نصر الدين أمام الغريب قصعة من الماء الحار . سأل الغريب: "ما هذا؟"

أجابه الملاء: "هذا حساء حساء البطة التي جاءني بها صديقك."

يسمع المرء عن أناس يتتلمذون على تلاميذ تلاميذ إنسان اختبر الألوهة.

كيف يمكنك أن تكلف رسالاً بتقبيل حبيبتك؟

يتعذر نقل الخبرة الداخلية بالترار، إذ ينبغي لهذه أن تتجدد على الدوام من المصدر. تستمر مذاهب عديدة على منوال واحد بعد أن تُستنفد قوة روحها الأصلية بوقت طويل، لتصير مجرد بؤر لتكرار عقيدة تضعف تدريجياً حتى تنتهي إلى العقم الروحي. قد يبقى

اسم التعليم هو هو ، لكنه يفقد المعنى الأصلي ، وحتى يقاومه ، ويكاد يكون دائماً صورة
ممسوخة عنه .

”كل يوم هو في شان.“ صدق الله العظيم (الرحمن 29).

تنين النهر

تلهى كاهن القرية عن صلواته بصياح أولاد يلعبون قرب نافذته. فحتى يتخلص منهم صرخ فيهم: "هناك تنين رهيب عند سافلة النهر. أسرعوا إلى هناك فتروه ينفث النار من منخريه."

سرعان ما سمعت القرية بأسرها بهذه الظاهرة المرعبة واندفعت إلى النهر. وعندما رأى الكاهن ذلك انضم إلى الجمع. وبينما هو يلهث في طريقه إلى النهر الذي كان يبعد أربعة فراسخ خطر بباله: "صحيح أنني أنا من اخترع القصة. ومع ذلك، من يدري؟"

إن خير الطرق للإيمان بالآلهة التي نخترع هو إقناع الآخرين بوجودها.

السهم المسموم

قال راهب للسيد البوذا مرة: "هل تنجو نفوس الأبرار من الموت؟"

لم يحر البوذا جواباً، على عادته.

لكن الراهب ألح. فكان كل يوم يكرر السؤال وكان كل يوم يجاب بالصمت، حتى نفذ صبره. فهدد بالرحيل إذا لم يلقَ جواباً على هذا السؤال المصيري، إذ في سبيل ماذا يضحى بكل شيء ليعيش في الدير إذا كانت نفوس الأبرار تفنى مع أجسامهم؟"

إن ذاك تكلم السيد البوذا، وقد أخذته الرأفة بالرجل، قال: "مثلك كمثّل رجل يحتضر من جراء إصابته بسهم مسموم. لقد جاء ذووه سريعاً بطبيب لإسعافه، لكن الرجل رفض أن يُنزع السهم من جسمه قبل أن يجاب على ثلاثة أسئلة حيوية: أولاً، هل كان الرجل الذي أصابه رجلاً أبيض أم أسود؟ ثانياً، هل كان طويلاً أم قصيراً؟ وثالثاً، هل كان من طائفة البراهمة أم من المنبوذين؟"

وعدّل الراهب عن الرحيل!

الرضيم يكف عن البكاء

كان يدعي أنه، للأغراض العملية كلها، صار ملحدًا. فلو أنه حقًا فكّر بنفسه مخلصًا، لما آمن بما يعلم دينه. إن وجود الله ليخلق من المشاكل أكثر مما يحل، والحياة بعد الموت ليست إلا من قبيل التمني، أما الكتب المقدسة والمنقول فقد ضرت بقدر ما نفعت. وهذه الأمور كلها قد اخترعت لكي تلطف من عزلة الحياة البشرية وبأسها.

كان من الخير تركه وشأنه. فقد كان يجتاز مرحلة نمو واكتشاف.

»

سأل التلميذ المعلم مرة:

”ما هو البودا؟“

أجاب:

”العقل هو البودا.“

وفي يوم آخر سئل السؤال نفسه فأجاب:

”لا عقل. لا بودا.“

أشكل الأمر على التلميذ:

”لكنك قلت منذ أيام: ”العقل هو البودا.““

قال المعلم:

”كان ذلك لكي يكف الرضيع عن البكاء. وعندما يكف الرضيع عن البكاء

أقول: ”لا عقل. لا بوذا.“

كان الرضيع فيه قد كف عن البكاء وبات الآن مستعداً للحقيقة. لذا كان من الخير تركه وشأنه.

*

لكنه حين بدأ يبشّر بإلحاده المكتشف الجديد آخرين غير مستعدين له، كان لابد لأحدهم من أن يكبحه: ”كان الناس فيما مضى يعبدون الشمس. كان ذلك في عصر ما قبل العلم. ثم جاء عصر العلم وتحقق الناس أن الشمس ليست إلهاً، بل إنها ليست شيئاً حياً. ثم جاء أخيراً العصر الصوفي وكان القديس فرنسيس الأسيزي يدعو الشمس أخته ويكلمها بمحبة خاشعة.

”إيمانك كان إيمان طفل فزع. أما وقد صرت عديم الخوف فقد استغنيت عنه. عساك تمضي قدماً فتصبح صوفياً يوماً ما وتجد إيمانك من جديد.“

الإيمان هو البحث عن الحقيقة بلا خوف. فهو إذن لا يضيع عندما يشكك المرء في معتقداته.

الببضة

كان نصر الدين يرتزق من بيع البيض. جاء أحدهم إلى دكانه ذات يوم وقال له:

”احزر ما في يدي.“

فقال نصر الدين: ”أعطني دليلاً.“

”سأعطيك عدة أدلة: شيء شكله شكل الببضة، وحجمه حجم الببضة، وهو يشبه الببضة، وطعمه طعم الببضة، وريحه ريح الببضة. من الداخل أصفر وأبيض. سائل قبل أن يُسَلَقَ، سميك القوام عندما يُسَخَّن. وهو إلى ذلك تبييضه الدجاجة.“

فقال نصر الدين: ”آها! عرفت ما هو! إنه نوع من الكعك!“

يعمى الخبير عن رؤية الواضح.

يعمى كبير الكهنة عن رؤية المسيح.

يروى أحد أساتذة التصوف اختباراً مشابهاً قام به في لندن: طلب عند ثلاثة تباعين على التوالي ”أسطوانات ورقية مملوءة بالتبغ المفروم، طولها حوالى ثلاث بوصات، معبأة في علب كرتونية، أغلب الظن أن عليها كلاماً مطبوعاً.“

لم يستطع واحد من الباعة الثلاثة الذين يبيعون السجائر طوال اليوم أن يعرف طلب الرجل. اثنان وجَّهاه إلى غير مكان: أحدهما نصح له أن يسأل عند تاجر الجملة، والثاني دلَّه على دكان متخصص في المستوردات الغريبة الخاصة بالمدخنين.

قد تكون كلمة "بيضة" أو كلمة "سيجارة" زناداً ضرورياً لوصف شيء شكله شكل البيضة وله حجم البيضة وطعمها وريحها ولونها وخواصها، أو لوصف أسطوانة ورقية مليئة بالتبغ المفروم. لكن آلية قدح ذاكرتنا الاعتيادية التي تتكئ على التداعيات لا تصحّ قطعاً على مجال الإدراك الداخلي، حيث يجب أن تكون رؤيتنا عذراء. إن خطأنا الفادح يكمن دوماً في نقلنا نمطاً من أنماط التفكير - مهما كانت فعاليته في مجاله الخاص - إلى مجال مختلف وفي الاستماتة في تطبيقه هناك. والنتيجة دوماً كارثة: البيضة تصير نوعاً من أنواع الكعك! لذلك يشدد التعليم الروحي على نمو سديد يوازن بين البصيرة الداخلية وبين السلوك البشري العادي.

اصرخ لتحفظ سلامتك - وبقينك

جاء نبي مرة إلى إحدى المدائن ليهدي سكانها. أصغى الناس في البداية لعظاته، لكنهم بالتدريج تفرقوا عنه حتى لم تبق نفس واحدة تصغي إليه يتكلم.

سأله أحد المسافرين يوماً: "لماذا تواصل الوعظ؟"

أجاب النبي: "في البدء أملت أن أغير هؤلاء الناس. فإذا كنت ما زلت أصرخ فلكي أمنعهم من تغيير لي ليس إلا."

أما أنا فإستمر في الصراخ، حتى أجد طريقة أخرى يعبر بها ما في من الحب عن نفسه.

ماء النهر للبيع

في ذلك اليوم، كانت عظة المعلم مؤلفة من جملة واحدة مبهمه.

إن قال وهو يبتسم ابتسامه زوراء: "كل ما أفعل هو الجلوس عند ضفة النهر أبيع ماءه."

كنت شديد الانشغال ببيع الماء حتى إنني لم أر النهر.

الحجاب

عجزت الأم عن إرغام ولدها على العودة إلى البيت قبل المغرب. لذا قالت له إن الطريق إلى منزلهم مسكونة بالجن التي ترودها بعد الغسق.
أما وقد شبَّ الصبي فقد اشتد خوفه من الجن بحيث صار يرفض الذهاب والإياب ليلاً.
لذا أعطته أمه حجاباً وعلمته أنه سيحميه.

سيء الدين يجعله يؤمن بالأحجية.
طيب الدين يجعله يرى أن لا وجود للجن.

نصر الدين في الصين

ذهب الملاً نصر الدين إلى الصين حيث جمع فريقاً من التلاميذ كان يُعدُّهم للاستنارة.

فما إن أصبحوا مستنيرين حتى كفوا في الحال عن الإصغاء لمحاضراته!

ليس مشرفاً للغورو أن تجلس إلى الأبد عند قدميه.

للقصة تنمة:

سافر فريق من أتباع نصر الدين السالكين من فارس إلى الصين، طالبين المزيد من الاستنارة، لكي يأخذوا العلم عنه. بعد المحاضرة الأولى استقبلهم.

سأله أحدهم: "لماذا يا ملاً تحاضر في كلمتين يمكننا نحن، خلافاً لأهل الصين، فهمهما؟
إنهما نميدانام و هشملمنست! إنهما تعنيان بالفارسية "لا أعرف" و"لاأحد يعرف" ليس إلا."

أجابه نصر الدين: "وماذا كنت تريد أن أفعل بدلاً من ذلك - أمدد رأسي وأنام؟"

الكلمات ناقل للحقيقة. أو قل إن الحقيقة تُنقل عبر تفاعل الكلمات مع فهم المستمع. غير أن الاستنارة تحدث بفعل "آلية" تبدأ من حيث تنتهي الكلمات.

قطة الغورو

كلما جلس الغورو للصلاة في المساء أتت قطة الأشرم وسط المصلين وألهتهم عن صلاتهم.

لذا أمر الغورو بربط القطة خلال صلاة العشاء.

بعد وفاة الغورو ظل القوم على ربط القطة خلال صلاة العشاء. وعندما نفقت القطة

جاءت بقطة أخرى إلى الأشرم حتى تُربط كما ينبغي طوال صلاة العشاء.

وبعد ذلك بقرون كتب الفقهاء من تلاميذ الغورو رسائل فقهية في المغزى الشعائري

لربط قطة أثناء إقامة الصلاة.

الجل الشعائرية

تشرين الأول 1917: ميلاد الثورة الروسية. التاريخ البشري يتخذ منحى جديداً.

تروي القصة أنه في ذلك الشهر عينه التأم شمل الكنيسة الروسية في مجمع. واحتدم النقاش حول لون الرداء الكهنوتي الذي يجب ارتداؤه في المراسم الشعائرية. أصرّ بعضهم بحدّة أنه يجب أن يكون أبيض. بينما رأى آخرون، بالحدّة نفسها، أنه يجب أن يكون أرجوانياً.

كان نيرون يعزف على قيثارته بينما روما تحترق. إن مواجهة ثورة أمر أكثر مشقة بكثير من تنظيم الشعائر. أفضل تلاوة صلاتي على إقحام نفسي في خلافات جيراني.

”الحقيقة لا تقيم إلا في حيوية عدم الأمان.“ (ج. كريشنامورتي)

الهندباء البرية

رجل كان شديد الفخر بمرجه الأخضر وجد نفسه صاحب محصول كبير من الهندباء البرية فيه. جرّب جميع الطرق التي يعرفها للتخلص منها. لكنها ظلت تقض مضجعه.

أخيراً كتب إلى مديرية الزراعة معهداً كل الطرق التي سبق أن جرّب وختم رسالته بالسؤال: "ماذا عليّ أن أفعل الآن؟"

أتاه الجواب في الوقت المناسب: "نقترح أن تتعلم محبتها."

أنا الآخر كنت أملك مرجاً أخضر كنت فخوراً به، وأنا أيضاً ابتليت بهندباء برية كافتحتها بكل وسيلة في مقدوري. كذا فإن تعلم محبتها لم يكن أبداً بالأمر السهل. بدأت بالتحدث إليها كل يوم. بمودة ولطف. لكنها لزمت صمتاً واجماً. لقد كانت مرضوضة من الحرب التي شنتها عليها وكانت مرتابة في دوافعي. لكن الأمر لم يطل بنا حتى ابتسمت لي وارتاحت إليّ. وسرعان ما أصبحنا صديقين حميمين.

لقد تلف مرجي طبعاً. ولكن أي رونق صار رونق حديقتي!

*

رويدياً رويدياً تمكّن العمى من عينيه. كافحه بكل وسيلة بمقدوره. وعندما لم يعد الطب يجدي في مكافحته، واجه العمى بعواطفه. وتطلب الأمر شجاعة لإخباره: "أقترح عليك أن تتعلم حبّ عماك."

وكان صراع. فلقد رفض في البداية أن يمتّ إلى عماء بصلة. وعندما حمل نفسه لاحقاً على التحدث إلى عماء جاءت كلماته مريرة. لكنه استمر في الحديث، وتغيرت الألفاظ شيئاً فشيئاً إلى كلمات تسليم وتسامح وقبول... وذات يوم، أمام دهشة كبيرة منه نفسه، صارت كلماته كلمات ودّ ومحبة. ثم جاء اليوم الذي أصبح قادراً فيه أن يحوط عماء بذراعه وأن يقول: "أحبك." كان ذلك اليوم هو اليوم الذي رأته فيه يبتسم من جديد.

لقد فقد بصره، ولاشك، إلى الأبد. ولكن أي رونق صار رونق وجهه!

لا تتغير

سنون طويلة وأنا معصوب. كنت جزءاً ومكتئباً. وكان الكل لا يفتأ يطلب مني أن أتغير. استأت منهم، ثم وافقتهم، وكنت أريد أن أتغير، لكنني ببساطة لم أستطع، على الرغم من كل ما بذلت من جهد.

وكان أكثر ما يؤلني أن أقرب أصدقائي إليّ كان، مثل الآخرين، يلح عليّ أن أتغير. لذا شعرت بالعجز كمن وقع في فخ.

ثم، ذات يوم، قال لي: "لا تتغير. أحبك كما أنت."

كان لكلماته وقع الموسيقى في أذني: "لا تتغير. لا تتغير. لا تتغير... أحبك كما أنت."

شعرت بارتياح. دبّت في الحياة. وعلى حين غرة تغيرت!

أعلم الآن أنه لم يكن في مكنتي أن أتغير حقاً حتى أجد من يحبني سواء تغيرت أم لم أتغير.

ترارك هكذا تحبني يا الله؟

وليّ

كان مالك بن دينار ممتعصاً جداً من السلوك الفاسق لشاب يقيم في المنزل المجاور لمنزله. ولوقت طويل لم يبدر أي تصرف، آملاً أن يتدخل شخص آخر في الأمر. أما عندما باتت تصرفات الشاب غير محتملة فقد ذهب إليه مالك مصراً عليه أن يغير سلوكه.

أما الشاب فلقد ردّ عليه بهدوء موضحاً أنه حميُّ السلطان وأنه بالتالي ليس لأحد أن يمنعه من التصرف بحياته كما يشاء.

قال مالك: "لسوف أشكو أمرك بنفسي إلى السلطان." فرد عليه الشاب: "سيكون ذلك عديم الجدوى لأن السلطان لن يغير رأيه في."

فقال مالك: "لسوف أشكو أمرك إذن إلى الله." فرد الشاب: "الله أكثر عفواً بكثير من أن يحكم عليّ."

مضى مالك مهزوماً. لكن سمعة الشاب بعد فترة ما انفكت تسوء حتى إن احتجاجاً عاماً قام عليه. فقرر مالك أن من واجبه أن يحاول توبيخه. غير أنه وهو سائر إلى منزل الشاب إذا به يسمع صوتاً يخاطبه: "لا تمسنّ وليّ. فهو تحت جناحي." ولقد أربك ذلك مالكا، وإذ صار في حضرة الشاب لم يعرف ماذا يقول. بادره الشاب قائلاً: "فيم جئت الآن؟" قال مالك: "جئتك موبّخاً. لكني وأنا في طريقي إليك أمرني صوت ألا أمسك، إن إنك تحت جناحه."

وبدا على الفاسق الذهول. وسأل: "وهل دعاني وليّه؟" لكن مالكاً كان حينئذٍ قد غادر المنزل.

بعد سنوات التقى مالك الرجل في مكة. كان الأخير قد بلغ به التأثر بكلام الصوت مبلغاً جعله ينزل عن كل ما يملك ويصير متسولاً سائحاً. "لقد أتيت إلى هنا باحثاً عن وليّ،" قال لمالك، ثم فاضت روحه.

الله وليّ الخاطئين! عبارة خطيرة بقدر ما هي فعالة. لقد جربت بها بنفسى مرة، إذ قلت: "إن الله أعفى بكثير من أن يحكم عليّ." وفجأة سمعت - لأول مرة في حياتى - البشرى الحسنة.

الأعرابي

كان جلال الدين الرومي يستمتع برواية هذه القصة:

كان الرسول محمد عليه السلام يؤمّ المصلين صلاة الصبح في المسجد. وكان أعرابي وسط حشد المصلين مع النبي ذلك اليوم.

وبدأ النبي يقرأ القرآن حتى تلا الآية التي يدّعي فيها فرعون قائلاً: "أنا ربكم الأعلى." لدى سماعه ذلك استشاط الأعرابي الطيب غضباً فكسر الصمت صارخاً: "يا لابن الكلبة الدعي."

لم يقل الرسول شيئاً. لكن ما إن انتهت الصلاة حتى بدأ القوم يوبخون الأعرابي: "ألا تستحي يا رجل؟ إن صلاتك غير مقبولة عند الله لأنك لم تعكر صفو صمت الصلاة المقدس فحسب بل رفثت في حضرة رسول الله."

بقي الأعرابي المسكين يرتعد خوفاً، حتى ظهر جبريل للنبي وقال: "إن الله يقرئك السلام ويأمرك أن تمنع الناس عن تعنيف الأعرابي البسيط. فالحق أن رفثه الصادق حرك قلبي أكثر من الصلوات المقدسة للآخرين."

نحن ثلاثة وأنت ثلاثة

عندما رست سفينة المطران عند جزيرة نائية ليوم واحد، صمّم أن يستغل الوقت بأفضل ما يمكن من النفع. فبينما كان يتنزّه على شاطئ البحر مرّ بثلاثة صيادين يصلحون شباكهم. وبإنكليزية رطنة شرحوا له أن قومهم قد تنصّروا منذ قرون على يد الإرساليات. "نحن مسيحي!" قالوا، يشير كلُّ منهم إلى الآخرين بفخر. تأثر المطران. أتراهم يعرفون صلاة الربّ؟ لم يسمعوا بها قط؟ صدم المطران.

"ماذا تقولون إذن عندما تصلون؟"

"نرفع عيون إلى سماء. نصلي: "نحن ثلاثة، أنت ثلاثة، ارحمنا"."

هالت المطران طبيعة صلاتهم البدائية، الصريحة الزندقة. لذا صرف اليوم كله يعلمهم صلاة الربّ. كان الصيادون قليلي الاستيعاب، لكنهم بذلوا قصارى جهدهم، وقبل أن يواصل المطران سفره في اليوم التالي كان بالغ الارتياح لسماعهم يتلون الدعاء كاملاً دون أي غلط.

ثم اتفق لسفينة المطران أن مرت، بعد شهور، بالقرب من تلك الجزر مرة أخرى، وإذا كان المطران يذرع ظهر السفينة جيئةً وذهاباً مردداً صلواته المسائية، تذكر مسروراً الرجال الثلاثة في تلك الجزيرة النائية الذين أصبحوا قادرين الآن أن يصلّوا بفضل

جهده الصبور. وبينما هو مستغرق في الفكرة اتفق له أن رفع نظره فلاحظ بقعة ضوء في الشرق.

واصل الضوء الاقتراب من السفينة. وإذا بالمطران، وهو يحدّق مذهولاً، يرى ثلاثة أخيلة تمشي على الماء. أوقف القبطان السفينة وانحنى الجميع على الدرايزين لينظروا المشهد.

وعندما صارت المسافة تسمح بالكلام تعرف المطران إلى أصدقائه الصيادين الثلاثة الذين هتفوا معاً: "يا مطران! يا مطران! نسمع سفينتك يمر قرب جزيرة فنأتي بسرعة بسرعة للقائك."

"ماذا تبغون؟" سأل المطران مذهولاً.

قالوا: "يا مطران، نحن آسف جداً جداً. نحن ننسى صلاة لطيفة. نقول: "أبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك... ثم ننسى. نرجوك تقول لنا صلاة ثانية."

شعر المطران بالتواضع وقال: "عودوا إلى بيوتكم يا أصدقائي، وكلما صليتم قولوا: "نحن ثلاثة، أنت ثلاثة، ارحمنا!"

قديمساً كنت أم ملحداً، فلنكن لك صلاتك الخاصة، النابعة من فيض قلبك.

كان شارل دو فوكو شاباً مستهتراً يحاول دوماً أن يروي ظمأه من سقط المتاع. لكنه بدأ يصلي بصدق قائلاً: "إذا كنت موجوداً يا الله، فأظهر لي ذاتك!" وكانت صلاته تلك بداية طريق قادته إلى تسنُّم ذروة الروح. وفي نهاية حياته كان يصلي: "أبت! إني أسلم لك ذاتي، فافعل بي ما تشاء."

وقد تكون الصلاة خطيرة

هاك قصة كانت من القصص الأثيرة عند المعلم الصوفي سعدي الشيرازي :

فرح أحد أصدقائي أن امرأته حامل. كان ممتد الرغبة في طفل صبي. فصلى إلى الله دون انقطاع ونذر في باله نذراً إذا ما استجاب الله لصلاته.

وقد قيض له فعلاً أن وضعت زوجه صبياً. ابتهج صديقي ودعا أهل القرية جميعاً إلى وليمة شكر.

بعد سنين من ذلك، وأنا عائد من مكة المكرمة، عرّجت على قرية صديقي. فقيل لي إنه في السجن.

سألت: "لماذا، ماذا فعل؟"

فقال لي جاره: "شرب ابنه منكراً حتى سكر وقتل رجلاً وهرب. وهكذا اعتقل والده وأودع السجن."

أن نلحف على الله في طلب ما نريد أمر محمود – ومحفوف بالخطر.

نارادا

خرج الحكيم الهندي نارادا حاجاً إلى معبد الرب فشنو. ذات ليلة توقف في قرية حيث استضافه في كوخهما زوجان لم يرزقا أطفالاً. وقبل أن ينطلق صباح اليوم التالي قال الرجل لنارادا: "أنت ماضٍ إلى مقام الرب فشنو. فأسأله أن يرزقني وزوجي ولداً."

عندما بلغ نارادا المعبد سأل الرب قائلاً: "ذلك الرجل وزوجه أحسنا وفادتي. فأرأف بهما وارزقهما ولداً." أجاب الرب بلهجة جازمة: "لم يُكْتَبْ لهذا الرجل أن يُرَزَق أطفالاً." وهكذا أدى نارادا فروض عبادته وعاد إلى بلده.

بعد خمس سنوات قام نارادا بالحج نفسه وتوقف في القرية عينها واستضافه مرة أخرى الزوجان إياهما. هذه المرة كان طفلان يلعبان عند مدخل الكوخ. سأل نارادا: "لن هذان الطفلان؟" أجابه الرجل: "إنهما ولداي."

وأسقط في يد نارادا. لكن الرجل مضى يقول: "ما إن غادرتنا منذ خمس سنوات حتى جاء سنِّيَاسي إلى قريتنا. فاستضافنا ليلتئذٍ. وفي اليوم التالي، قبل أن يغادر، باركنا أنا وزوجي... وهذان هما ثمرة بركته."

عندما سمع نارادا هذا لم يطق صبراً على الذهاب إلى معبد فشنو من جديد. وحال وصوله صاح من مدخل المعبد: "أما قلت لي إنه لم يُكْتَبْ لهذا الرجل أن يكون له ولد؟ فها إن له اثنين!"

عندما سمع الربّ هذا قهقهه وقال: "لابد أن ذلك من صنع قديس. فللقديسين سلطان على تغيير القدر!"

كما تبين لهم في عرس قانا الجليل عندما حضّت أم يسوع ولدها، بنعمة صلاتها، على اجتراح معجزة قبل أن تأتي ساعته.

"الطاعة تكون من أجل الطاعة. فالإنسان إذا أطاع الله فإن الله يطيعه." (الأب ميّوس الذي من فيليوس)
"إن لله عبادةً إذا أرادوا أراد." (حديث شريف)

القَدْرُ فِي رَمْيِ قِطْعَةِ نَقْدِيَّةٍ

قرر القائد الياباني نوبوناغا أن يهاجم، وإنَّ بجندي واحد مقابل عشرة من جنود الأعداء. كان واثقاً من النصر، غير أن نفوس رجاله كان يتأكلها الشك.

في الطريق إلى المعركة توقفوا عند مزار شِنْتُو* . وبعد أن صلَّى نوبوناغا في المزار خرج إليهم وقال: "سوف أرمي الآن بقطعة نقدية. فإذا ظهر الرأس سننتصر، وإذا ظهر الذيل سننهزم. القدر سوف ينكشف الآن."

ورمى القطعة. فظهر الرأس. فبلغت الحماسة بالجنود حداً جعلهم يسحقون العدو سحقاً.

في اليوم التالي قال أحد المعاونين لنابوناغا: "ليس لأحد أن يغيّر القدر." "أصبت،" قال نوبوناغا وهو يريه قطعة نقدية مزدوجة كلا وجهيها رأس.

من يصنع القدر؟

* ديانة اليابان الأصلية قبل أن تدخلها البوذية. أسَّها القيام بالناسك والشعائر التي تجعل المرء في وفاق مع النظام الطبيعي والكوني. (المترجم)

صلاة الاستسقاء

عندما يقصدك المعصوبون طلباً للمساعدة فإنهم قلما يلتمسون الشفاء، لأن الشفاء مؤلم. فما يرغبون به حقاً هو أن يرتاحوا في عصابهم. أو، في أحسن الأحوال، يتوقون إلى معجزة تشفيهم دونما ألم.

كان العجوز ولوعاً بتدخين غليونه بعد العشاء. وفي إحدى الليالي شمّت زوجته رائحة شيء يحترق وصرخت: "كرمي للسماء، بابا! لقد أطعمت شاربيك للنار."
أجابها العجوز غاضباً: "أعرف ذلك. ألا ترين أنني أصلي حتى تمطر؟"

اعقلها ثم توكل!

الثعلب المعاق

من حكايات الصوفي سعدي الشيرازي:

رأى رجل وهو يسير عبر الغابة ثعلباً فقد قوائمه وتساءل كيف يعيش. ثم رأى نمراً آتياً وفي فمه فريسة. شبع النمر وترك باقي اللحم للثعلب.

في اليوم التالي أطعم الله الثعلب طعامه بواسطة النمر عينه. أما الرجل فقد بدأ يتفكّر في عظمة الله الفائقة وقال لنفسه: "أنا أيضاً سوف أكتفي بالجلوس في زاوية متوكلاً كل التوكّل على الربّ، ولسوف يرزقني هو كل ما أحتاج."

فعل ذلك أياماً عديدة لكن لم يحدث شيء، وأشرف على الموت عندما سمع صوتاً يقول: "ويحك، أيها السالك في طريق الضلال، ألا افتح عينيك على الحقيقة! أفلا اقتديت بالنمر وكففتَ عن تقليد الثعلب الكسيح؟!"

رأيتُ في الطريق طفلاً عارياً، جائعاً، مرتجفاً برداً. استشطتُ غضباً وقلت لله: "لماذا تسمح بهذا؟ أفلا فعلتَ شيئاً؟"

للوهلة الأولى لم يفه الله بشيء. لكنه في تلك الليلة أجابني، على حين غرة: "لقد فعلت شيئاً قطعاً. لقد خلقتك."

الله الغداء

قرر الله أن يزور الأرض فأرسل ملاكاً ليقوم بمسح شامل للوضع قبل زيارته.

عاد الملاك بتقريره، وقال: "أغلبهم يعوزه الطعام ومعظمهم يعوزه العمل."

قال الله: "عليّ إذن أن أتجسّد على شكل طعام للجائعين وعمل للعاطلين عنه."

وبعد ألفين من السنين، مازلنا، نحن الجاحدين، نشكو قلة الخبز وانعدام فرص العمل.

الرهبان الخمسة

تلقي اللاما الأكبر للشمال نداءً عاجلاً من اللاما الأكبر للجنوب يسأله راهباً حكيماً تقياً لتلقيين الرهبان المبتدئين أصول الحياة الروحية. وأمام دهشة الجميع أرسل اللاما الأكبر خمسة رهبان بدلاً من راهب واحد. وللمستفهمين عن الأمر كان يجيب إجابة ملغوزة: "سنكون محظوظين إذا وصل واحد منهم إلى اللاما."

كان الفريق في طريقه منذ بضعة أيام عندما لحق بهم رسول راکضاً وقال: "لقد مات كاهن قريتنا. نحتاج إلى من يحل محله." بدت القرية مكاناً مريحاً، وكان أجر الكاهن محترماً، فأخذت أحد الرهبان نخوة رعوية بالقوم وقال: "ما أنا ببوذي إذا لم أبق لخدمة هؤلاء القوم." وهكذا تخاذل.

بعد بضعة أيام أخرى اتفق لهم أن نزلوا قصر أحد الملوك الذي أعجب بواحد من الرهبان، فقال له: "ابق معنا، ولسوف أزوجك ابنتي. وعندما أموت سوف تخلفني على العرش."

انجذب الراهب إلى بريق الملك، فقال: "أية طريقة أفضل للتأثير على شعب هذه المملكة من أن أصير ملكاً؟ ما أنا ببوذي إذا لم أنتهز هذه الفرصة لخدمة مصالح الدين." وهكذا تخاذل هو الآخر.

مضى باقي الرهبان في طريقهم، وفي إحدى الليالي فوجئوا في منطقة كثيرة التلال بكوخ منفرد تشغله فتاة جميلة قدمت لهم الضيافة وشكرت الله على إرسال الرهبان

إليها. فقد قُتِلَ نووها على أيدي لصوص الجبال وبقيت وحيدة يملؤها الجزع. وفي صباح اليوم التالي، عندما حان وقت الرحيل، قال أحد الرهبان: "سوف أبقى مع هذه الفتاة. فما أنا ببوذي إذا لم أمارس الرحمة."

وصل الراهبان الباقيان أخيراً إلى قرية بوذية فوجدا - ويا للرب - أن جميع القرويين قد ارتدوا عن دينهم ووقعوا تحت نفوذ فقيه هندوسي. قال أحد الراهبين: "إنني أدين لهؤلاء الناس وللسيد البوذا نفسه أن أبقى بين ظهرايهم وأستعيدهم للدين."

وصل الراهب الخامس أخيراً إلى لاما الجنوب.

لطالما تخالفت لأفضل الأسباب: لتجديد الشعائر، أو لتغيير هيكلية الكنيسة، أو لتحديث دراسة الكتاب المقدس، أو لجعل اللاهوت ذا مساس بالعصر... النشاط الديني هو مهربي المفضل من الله.

"أدخلوا من الباب الضيق. فإن الباب رحب والطريق المؤدي إلى الهلاك واسع، والذين يسلكونه كثيرون. ما أضيّق الباب وأخرج الطريق المؤدي إلى الحياة، والذين يسلكونه قليلون." (إنجيل متى 7: 13-14)

الوظيفة

أدخِل المتقدِّم الأول:

“أنت مدرك أن هذا اختبار بسيط نجريه عليك قبل أن نسلمك العمل الذي تقدمت

له؟”

“نعم.”

“حسناً. ما مجموع اثنين واثنين؟”

“أربعة.”

أدخِل المتقدم الثاني.

“هل أنت جاهز للاختبار؟”

“نعم.”

“حسناً. ما مجموع اثنين واثنين؟”

“ما يقول المدير.”

وحصل المتقدم الثاني على الوظيفة.

لأَيُّهُمَا الأَوْلِيَّةُ، لِلسُّنَّةِ أَمْ لِلْحَقِيقَةِ؟

ديوجينيس

كان الفيلسوف ديوجينيس يأكل الخبز والعدس على العشاء عندما رآه الفيلسوف
أرستيبوس الذي كان يعيش حياة مرفهة مدهناً الملك.

قال أرستيبوس: "لو تعلمت كيف تتملق للملك لما اضطررت للعيش على أكل العدس."

قال ديوجينيس: "تعلم العيش على أكل العدس ولن تضطر للتذلل للملك."

لأننا نستطيع كاذبين أن نسمي المدهنة والتملق والتذلل بألف اسم جميل مختلف فإننا
نرتضيها سلوكاً.

ولأننا لا نقدر أن ندعو الاكتفاء بالعدس بغير اسمه يصعب علينا قبوله.

أعطني اللهم أولاً شجاعة تسمية الأشياء بأسمائها.

انهض واقفاً وتمالك نفسك

عندما نطق خروشوف بشجبه الشهير لستالين، يقال إن أحد أعضاء المجلس الأعلى انبرى له بالقول: "أين كنت يا رفيق خروشوف عندما كان كل هؤلاء الناس الأبرياء يُدبحون؟"

سكت خروشوف مجيلاً طرفه في القاعة ثم قال: "هلا تلتطف الرجل الذي قال ذلك بالوقوف!"

تصاعد التوتر في القاعة. ولم يحرك أحد ساكناً.

عندئذ قال خروشوف: "حسناً، أياً كنت، فقد حصلت على جوابك. لقد كنت بالضبط في الوضع الذي أنت فيه الآن."

المعرفة شيء، وامتلاك شجاعة إعلانها شيء آخر.

دكان الحقيقة

كدت لا أصدق عيني عندما رأيت اسم الدكان: *دكان الحقيقة*.

كانت البائعة غاية في التهذيب: أي نوع من أنواع الحقيقة أرغب أن أبتاع، الجزئية

أم الكلية؟ الحقيقة الكلية، بالطبع. لا أريد خيبات، ولا دفاعات، ولا تسويغات.

أريد حقيقتي صرفاً لا تشوبها شائبة. وأشارت لي البائعة إلى طرف آخر من المخزن.

أشار البائع هناك إلى بطاقة السعر: "التمن باهظ جداً، سيدي،" قال. "وما هو؟"

سألته مصراً على معرفة الحقيقة كاملة، مهما كلفت. أجاب: "طمأنينتك، سيدي،

مدى حياتك."

عدت مبتعداً بقلب مغتم. فمازلت في حاجة إلى أمان معتقداتي التي لا ريب فيها.

الطريق الضيق

أذّر الله الناس بزلزال سوف يبتلع كل مياه اليابسة. والمياه التي ستحل محلها سوف تجعل كل من يشرب منها مجنوناً.

وحده النبي أخذ الله على محمل الجد. حمل زقاق ماء ضخمة إلى كهفه الجبلي بما يكفيه حتى يوم مماته.

بالفعل، وقع الزلزال وتلاشت المياه، وملاً ماء جديد منها الغدران والبحيرات والأنهار والبرك. بعد بضعة شهور هبط النبي ليرى ما حدث. كان الجميع في الواقع قد جُنُّوا وأخذوا يهاجمونه إذ ظنوه هو المجنون.

وهكذا عاد النبي إلى كهفه الجبلي، مسروراً بالماء الذي وفر. لكنه بمرور الوقت وجد وحدته لا تطاق. لقد اشتاق إلى صحة البشر، فنزل إلى السهول من جديد. ومن جديد نبذه الناس لأنه كان شديد الاختلاف عنهم.

أذعن النبي عندئذ. هدر الماء الذي كان وفره، وشرب من الماء الجديد، وانضم إلى الناس في جنونهم.

ضيق الدرب إلى الحقيقة. أبداً تمشيته بمفردك.

المنافق

غصت القاعة بالحضور، وأغلبه من النساء المسنات. كان ضرباً من الدين الجديد. لم يكن أحد المتكلمين يرتدي غير عمامة ومئزر. تكلم بحماس عن سلطان الفكر على المادة.

أصغى الجميع مأخوذين. عاد المتكلم أخيراً إلى مكانه قبالي تماماً. التفت إليه جاره وسأله بهمس مسموع: "هل تؤمن حقاً بما قلت من أن الجسم لا يحس بشيء وأن كل شيء أساسه الفكر؟"

أجاب المنافق بيقين ورع: "طبعاً أومن."

فقال الجار: "إن، هل تمنع في مبادلتني مكاني؟ إنني جالس في تيار هواء."

كثيراً ما أبذل جهوداً خائبة لكي أضع ما أعظ موضع التنفيذ.

فلو أنني اكتفيت بالوعظ بما أطبق لصرت أقل نفاقاً.

عقد ضائع

كانت الساعة قد بلغت التاسعة صباحاً ونصر الدين مايزال يغط في نومه. كانت الشمس عالية في السماء، والعصافير تغرد على الأشجار، وكان فطور نصر الدين يبرد. وهكذا فقد أيقظته زوجته.

استفاق حانقاً: "لماذا أيقظتني الآن حصاراً؟" صرخ نصر الدين. "أما استطعت الانتظار قليلاً بعد؟"

أجابت الزوج: "لقد علت الشمس في السماء، والعصافير تغرد على الأشجار وفطورك يبرد."

"اللعنة على الفطور"، قال. "كنت على وشك إمضاء عقد بقيمة ألف رطل من الذهب." ثم ما لبث أن أغمض عينيه ليسترجع حلمه المبعثر وهاتيك الألف رطل من الذهب.

فلنتخيل أن نصر الدين كان يغش في ذلك العقد وأن شريكه في الصفقة كان طاغية.

فإذا تخلى نصر الدين، وقد استرجع حلمه، عن غشه أصبح قديساً. وإذا عمل جاهداً لتحرير الناس من ظلم الطاغية أصبح مناضلاً من أجل الحرية.

وإذا، في أثناء حلمه، أدرك فجأة أنه يحلم أصبح يقظاً. مستنيراً.

أي قديس أو مناضل من أجل الحرية أنت مادمت نائماً؟

جيد جداً، جيد جداً

في قرية للصيادين حبلت فتاة سفاحاً، وبعد أن ضربت ضرباً مبرحاً اعترفت أخيراً أن والد الطفل هو معلّم الزنّ القاطن عند أطراف القرية.

تقاطر القرويون إلى بيت المعلّم، وعكّروا بفضاظة صفو تأمله، متّهمينه بالنفاق، وأمروه أن يحتفظ بالوليد. أما المعلّم فكل ما فاه به كان: "جيد جداً، جيد جداً."

ثم أخذ الطفل واتفق مع إحدى نساء القرية على إرضاعه وإلباسه ورعايته على نفقته. ساءت سمعة المعلّم وأعرض عنه جميع تلاميذه.

بعد مضي عام على ذلك، لم تعد الفتاة التي أنجبت الولد قادرة على التحمل فاعترفت أخيراً أنها كذبت وأن والد الطفل هو ابن الجيران.

ندم القرويون أشد الندم. وركعوا عند قدمي المعلّم يلتمسون صفحه ويسألونه استرداد الطفل. ردّ المعلّم إليهم الطفل. وكل ما فاه به كان: "جيد جداً، جيد جداً."

الشخص اليقظ!

أبناء يموتون في الحلم

رزق صائد سمك وزوجه صبيّاً بعد سنوات طويلة من زواجهما. كان الولد فخر والديه وفرحهما. لكنه، ذات يوم، أصيب بداء خطير. أنفق الوالدان ثروة على الأطباء والأدوية، لكن الصبي مات.

بلغ حزن الأم بالمصاب كل مبلغ، أما والده فلم تسفح عيناه دمعة واحدة.

وعندما لامته زوجته على انعدام حزنه تماماً قال الصياد: "دعيني أخبرك لماذا لا أبكي؟ حلمت ليلة أمس بأني ملك وأب فخور لثمانية أبناء. كم كنت سعيداً! ثم استيقظت. وأنا الآن في حيرة شديدة: هل أبكي على أولئك الأبناء أم على هذا؟"

النسر الذهبي

عثر رجل على بيضة نسر ووضعها في قن الدجاج في فناء البيت الخلفي. فقس الهيثم مع الصيصان وترعرع معهم.

فعل النسر طوال حياته ما يفعل دجاج الفناء الخلفي، ظناً منه أنه دجاجة فناء خلفي. فكان ينبش الأرض بحثاً عن الديدان والحشرات. وكان يقاقي ويقوق. وكان من عادته أن يصفق بجناحيه ويطير بضعة أقدام في الهواء.

مضت سنوات وكبر النسر وطعن النسر في السن. وذات يوم رأى طائراً بديعاً يحلق بعيداً فوقه في السماء الصافية، مناسباً بجلال رشيق بين تيارات الهواء القوية، بمجرد ضربة واحدة من جناحيه الذهبيين القويين.

نظر النسر العجوز إلى الأعلى برهبة وسأل: "من هذا؟"

أجابته جارتة: "ذلك هو النسر، ملك الطيور. إنه ابن السماء. أما نحن معشر الدجاج فأبناء الأرض."

وهكذا عاش النسر دجاجة ومات دجاجة، فذلك ما ظن بنفسه.

فرخ البط

يروى الولي الصوفي شمس الدين التبريزي عن نفسه هذه القصة :

منذ طفولتي وأنا أعتبر ناشراً. لم يفهمني أحد، حتى إن أبي نفسه قال لي مرة: "لست من الجنون بحيث توضع في بيمارستان، ولست من الاعتكاف بحيث توضع في دير. لقد أسقط في يدي في أمرك."

أجبت: "وُضعت بيضة بطة مرة تحت دجاجة. وعندما فقسّت البيضة درج فرخ البط مع الدجاجة الأم حتى بلغا بركة. اندفع فرخ البط من فوره إلى الماء، بينما ظلت الدجاجة تقوقى جزعة على اليابسة. وأنا، يا أبت العزيز، قد خضت في البحر المحيط ووجدت فيه موطني. فمالك تلومني إذا اخترت البقاء على البر؟"

دمية الملح

قطعت دمية من الملح آلاف الفراسخ براً حتى وصلت أخيراً إلى البحر.

ولقد افتتنت بهذه الكتلة الغريبة المتحركة التي لا تشبه البتة أي شيء رآته في حياتها من قبل.

“من أنت؟” قالت دمие الملح للبحر.

أجاب البحر مبتسماً: “تعالى وانظري.”

وهكذا خوضت الدمية في الماء. وكلما مضت أكثر في البحر زابت أكثر، حتى لم يبق منها غير القليل جداً. وقبل أن يذوب هذا الجزء الضئيل، هتفت الدمية مذهولة: “الآن أعرف من أنا!”

من أنا؟

حكاية من العطار النيسابوري :

قرع العاشق باب معشوقه. "من بالباب؟" قال المعشوق من الداخل.
"أنا"، قال العاشق.

"عد أدراجك. فهذا البيت لا يتسع لي ولك."

هام العاشق الخائب في الصحراء. هناك تأمل شهوراً متواصلة، متفكراً في كلمات
المعشوق. وأخيراً عاد وقرع الباب مرة أخرى.

"من بالباب؟"

"أنت."

وانفتح الباب من فوره.

العاشق الثرثار

ألح عاشق في طلب الوصال شهوراً عديدة بلاجدوى، مقاسياً عذاب النبذ الفظيع. أخيراً

لانت حبيبته فأرسلت في طلبه: "تعال إلى المكان الفلاني في الوقت كذا."

في ذلك الوقت وذلك المكان وجد العاشق نفسه أخيراً بجانب معشوقته. عندئذ مدّ يده

إلى جيبه وأخرج منها حزمة من رسائل الحب كان كتبها لها خلال الشهور

المنصرمة. كانت الرسائل ملتهبة، تعبّر عن العذاب الذي شعر به وعن رغبته

المتأججة لاختبار مباحج الحب والوصال. فبدأ بقراءتها لمعشوقته. مضت ساعة تلو

الساعة وهو ما انفك يقرأ ويقرأ.

أخيراً قالت المرأة: "أي نوع من الحمقى أنت؟ كل هذه الرسائل عني وعن شوقك إليّ.

حسناً ها أنذا جالسة معك أخيراً وأنت مستغرق في رسائلك الغبية."

يقول الله: "ها أنذا معك، وأنت لا تني يتفكر فيّ عقلك، وتتحدث عني بلسانك، وتفتش

عني في كتبك. فمتى تسكت فتعابن؟"

ترك الـ"أنا"

التلميذ: أنا جئت أقدم لك خدمتي.

المعلم: لو أنك تركت الـ"أنا" فإن الخدمة ستُقدّم من تلقاء ذاتها.

بوسعك أن تفرّق كل مالك لإطعام الفقراء وتقدّم جسمك للحرق دون أن تكون لديك المحبة أصلاً.

احتفظ بمالك وتخلّ عن الـ"أنا". لا تحرق جسمك، بل إنّيّتك، فتأتي المحبة من تلقاء ذاتها.

رأيتُ ربّ العزّة في المنام، فقلت: "يا ربّ! كيف الطريق إليك؟" فقال: "دع نفسك وتعال." (أبو يزيد البسطامي)

انرك لاشيئك

التلميذ: جئتك ولاشيء في يدي.

المعلم: اتركه فوراً!

التلميذ: كيف أتركه؟ إنه لاشيء!

المعلم: فاحمله إن أبنما ذهب!

يمكن للاشيئك أن يكون أثن ما تملك.

قيل لأبي يزيد البسطامي: "بماذا نلت ما نلت؟" قال: "بلاشيء."

المسيحي ومعلم الزن

زار مسيحي مرة معلّم زن وقال: "هلا سمحت لي أن أقرأ لك بعض العبارات من العظة

على الجبل؟"

فقال المعلّم: "سأسمعها بسرور."

قرأ المسيحي بضع عبارات ورفع رأسه. ابتسم المعلّم وقال: "أياً كان قائل هذه الكلمات

فقد كان مستنيراً بحق."

سُرّ المسيحي بذلك وتابع القراءة. قاطعه المعلّم وقال: "تلك كلمات فاه بها مخلص

للجنس البشري."

طرب المسيحي واستمر في القراءة حتى النهاية. عندئذ قال المعلّم: "تلك العظة نطق

بها إنسان يشعّ ألوهية."

لم تعد الدنيا تتسع لفرحة المسيحي. ثم انصرف، عازماً أن يعود ليقنع المعلم بأن

يتنصّر.

في طريق عودته إلى البيت وجد يسوع واقفاً على جانب الطريق. فقال بحماس: "رابي!

لقد حملت ذلك الرجل على الإقرار بألوهيتك!"

ابتسم يسوع وقال: "وأى خير جنيتَ من ذلك غير نفخ أنك المسيحية؟"

كتب غاندي: "إن لجميع الأديان الأخرى من المحبة في نفسي بقدر ما لديني الخاص منها. تماماً كما يجب علي أن أحب قريبي محبتي لنفسي. إنني أجيل عقائد الآخرين إجلالي لعقيديتي، والحال فإن أمر اعتناقي ديانة أخرى أمر غير مطروح."

رحم الله غاندي!

عزاء لإبليس

حكاية مسيحية قديمة :

عندما سُمِّر ابن الله على الصليب ومات، ذهب من فوره من الصليب إلى أسافل جهنم لإطلاق سراح جميع الخطاة الذين كانوا يتلوعون هناك.

بكى إبليس وندب، إذ ظن أنه لن يستقبل المزيد من الخطاة في جهنم.

عندئذ قال له الله: "لا تبك، فسوف أرسل لك جميع أولئك الذين يبررون ذواتهم بإدانة الخطاة. وسوف تمتلئ جهنم من جديد إلى أن أعود."

كانت لذة الشيطان كبيرة جداً، فقد امتلأت جهنم أكثر من قبل!

النوم ولا الذمّ

يروى سعدي الشيرازي هذه القصة عن نفسه :

عندما كنت طفلاً كنت صبيّاً شديداً التقوى، حاراً في صلاتي وعبادتي. ذات ليلة أحييت الليل مع والدي والقرآن الكريم في حضني.

كل من كان بالغرفة بدأ يغفو وسرعان ما غط الجميع بالنوم، فقلت لأبي: "ما من واحد من هؤلاء النيام يفتح عينيه أو يرفع رأسه ليتلو أو راده. حتى لكأنك تحسبهم جميعاً أمواتاً."

أجاب والدي: "ليتك، ولدي الحبيب، كنت أنت أيضاً نائماً مثلهم ولم تكن تذمهم."

الراهب والمرأة

كان راهبان بوزيان في طريقهما إلى الدير عندما لقيا امرأة بارعة الجمال عند ضفة النهر. كانت، شأنهما، تودّ عبور النهر، لكن الماء كان شديد الارتفاع. لذا رفعها أحد الراهبين على ظهره وعبر بها.

ولشد ما استفزع رفيقه الراهب الأمر، فظل ساعتين يوبخه على إهماله التقيد بالقاعدة. أفنسي أنه راهب؟ كيف جرؤ على لمس امرأة؟ والأسوأ من ذلك أنه حملها عبر النهر؟ ماذا سيقول الناس؟ ألم يكن فعله مجلبة لسوء السمعة لدينهم المقدس؟ وهلمجرا.

استمع الراهب المذنب صابراً إلى العظة المطوّلة. وأخيراً قاطعه قائلاً: "يا أخي، أنا قد أنزلت تلك المرأة عند النهر. أو ماتزال تحملها أنت؟"

يقول الصوفي أبو الحسن البوشنجي: "ليس في فعل المعصية من الآفة بقدر ما في الرغبة فيها، لأن فعل المعصية يكون لفترة، أما الرغبة فيها فدائمة. فمن يكن مع المعصية ساعة بجسده لا يكن كمن يصاحبها ليل نهار بقلبه."

كلما اجتدرت معاصي الآخرين أغلب الظن أن الاجترار يلدّ لي أكثر مما تلدّ المعصية للعاصي.

الأزمة القلبية الروحية

كان العم طوم نا قلب ضعيف وكان الطبيب قد أوصاه بلزوم الحذر. لذا عندما تناهى إلى الأسرة أنه ورث عن قريب له متوفى مليار دولار خافوا من تبليغه لئلا يسبب له الخبر أزمة قلبية.

لذا التمسوا مساعدة راعي الأبرشية الذي أكد لهم أنه سيجد طريقة لتبليغه. قال الأب مورفي: "قل لي يا طوم. لو اتفق أن أرسل لك الله، في رحمته، ملياراً من الدولارات، فماذا تراك كنت ستفعل بها؟"

"كنت سأعطيك نصفها، أبت، من أجل الكنيسة."

ما إن سمع الأب مورفي ذلك أصيب هو بأزمة قلبية!

عندما أصيب الصناعي بأزمة قلبية من جراء الترويج لإمبراطوريته الصناعية فقد سهّل علينا أن نبين له طمعه وأنايته. أما عندما أصيب الكاهن بأزمة قلبية من جراء توسيع ملكوت الله فقد تعدّر علينا أن نبين له أن هذا طمع وأنايته في لبوس آخر أكثر احتراماً. هل تروّج لملكوت الله أم لنفسك؟ الملكوت لا يحتاج إلى الترويج له. إن جزعك ليشي بك، أليس كذلك؟

معرفة المسيح

حوار بين مهتد جديد وصديق له غير مؤمن :

”إذاً فلقد اهتديت إلى المسيح؟“

”أجل.“

”إن فلانك أنك تعرف الكثير عنه. أخبرني : في أي بلد ولد؟“

”لا أدري.“

”كم كان له من العمر عندما مات.“

”لا أدري.“

”ما عدد المواعظ التي كرز فيها.“

”لا أدري.“

”ما أقل ما تعرف يا رجل وأنت تزعم أنك اهتديت إلى المسيح!“

”أنت محق. إنني أستحي من قلة ما أعرف عنه. لكنني أعرف بهذا المقدار: قبل ثلاث

سنوات كنت سكيراً، غارقاً في الدين. كانت أسرتي مهددة بالتفكك. وكانت زوجي

وأولادي يرهبون عودتي إلى البيت كل مساء. أما الآن فقد أقلعت عن الشراب، ووفيت

ديوني، وأسرتنا الآن أسرة سعيدة، وزوجي وأولادي ينتظرونني كل مساء بفارغ

الصبر. كل هذا فعله المسيح لأجلي. هذا مقدار ما أعرف عنه!“

أن يعرف المرء **حقاً**. أي أن يتحول بما يعرف.

نظرة يسوع

نقرأ في الإنجيل بحسب لوقا:

قال بطرس: "يا رجل، لا أدري ما تقول." وبينما هو يتكلم، إذا بديك يصيح. فالتفت الرب ونظر إلى بطرس، [فتذكر بطرس كلام الرب إذ قال له: "قبل أن يصيح الديك اليوم، تنكرني ثلاث مرات."] فخرج من الدار وبكى بكاءً مرّاً.

كانت علاقتي مع الرب علاقة جيدة نوعاً ما. كنت أطلب منه أشياء، أحادثه، أثنى عليه، أشكره...

لكنني كنت دائماً يخامرني شعور غير مريح بأنه يريدني أن أنظر إليه. ولم أكن أفعل. كنت أتحدث، لكنّ أشيح بوجهي كلما أحسست أنه ينظر إليّ.

كنت أخاف أن أجد في نظره تهمة بخطيئة لم أتب عنها. كنت أحسب أنني سأجد طلباً في عينيه، أنه سيكون فيهما شيء يريد مني.

وذات يوم استجمعت شجاعتي أخيراً ونظرت! لم يكن اتهام ثمة. لم يكن طلب ثمة. كانت العينان تقولان: "أحبك" - فحسب.

وخرجت من الدار و، نظير بطرس، بكيت.

الببضة الذهبية

قراءة من الكتب المقدسة :

هذا ما يقول الربّ: كانت هناك في قديم الزمان إوزة تضع بيضة ذهبية كل يوم. وكانت زوج المزارع صاحبة الإوزة تبتهج بالأموال التي يعود بها عليها ذلك البيض. على أنها كانت امرأة بخيلة فلم تستطع أن تنتظر صابرة من يوم لآخر للحصول على بيضتها اليومية. لذا قررت أن تقتل الإوزة وتحصل على البيضات دفعة واحدة.

ما أعمق غور كلام الله !

سمع ملحد هذا النص من الكتب فسخر منه : أو تسمي ذلك كلام الله ! إوزة تضع بيضاً ذهبياً ! إنه لدلالة فحسب على لامعقولية كتبك المقدسة.

عندما قرأ فقيه في الدين هذا النص كان ردّ فعله كما يلي : يخبرنا الربّ بوضوح أنه كانت هناك إوزة تضع بيضاً ذهبياً. فإذا كان الربّ يقول هذا فلا بد أنه صحيح، مهما بدا غير معقول لعقولنا البشرية المسكينة.

لسوف تسأل الآن - وهذا من حقلك - كيف يمكن لبيضة، مع بقائها بيضة، أن تكون، في الوقت نفسه، من الذهب. تحاول مذاهب الفقه المختلفة تقديم تفسيرات مختلفة للأمر. لكن المطلوب هنا هو فعل إيمان بهذا السرّ الذي يحار فيه الفهم البشري. حتى إن أحد الواعظين، مستلهماً هذا النص، كان يذرع البلاد طولاً وعرضاً بغيره، مستنهضاً الناس على قبول أن الله خلق بيضاً ذهبياً في وقت ما من التاريخ. أما كان أحرى به أن يعلم الناس شرور البخل من أن يستنهض إيمانهم بالبيض الذهبي؟

البشرى السارة

هي ذي البشرى السارة التي أعلنها سيدنا يسوع المسيح :

بدأ يسوع يعلمُّ بأمثال.

قال :

يشبه ملكوت الله شقيقتين دعاها الله أن يتصدقا بكل ما لديهما وأن يخرجا للإنسانية.

أجاب الشقيق الأكبر الدعوة إجابة كريمة، مع أنه كان عليه أن يقطع قلبه عن أسرته وعن الفتاة التي كان يحب ويحلم بالزواج منها. لقد رحل في مآل الأمر إلى أرض نائية حيث نذر نفسه لخدمة أفقر الفقراء. ثم وقع اضطهاد في ذلك البلد فأوقف وأتهم زوراً وعُذّب وأعدم.

وقال له الرب: "أحسننت أيها العبد الطيب الأمين! لقد قدمت لي ما قيمته ألف وزنة من الخدمة. وسأمنحك الآن مليار مليار وزنة مكافأة. ادخل في فرح ربك."

كانت إجابة الشقيق الأصغر للنداء أقل من كريمة. فقد قرر تجاهله والإقدام على الزواج من الفتاة التي أحب. وتمتع بحياة زوجية سعيدة، وازدهرت أعماله وصار شخصاً غنياً ومرموقاً. وكان أحياناً يزكي من ماله للفقراء.

وعندما وافاه بدوره الأجل قال له الربّ: "أحسنّت أيّها العبد الطيب الأمين! لقد
قدمت لي ما قيمته عشر وزنات من الخدمة. وسأمنحك الآن مليار مليار وزنة مكافأة.
ادخل في فرح ربك."

دُهِش الشقيق الأكبر عندما سمع أن شقيقه سوف يحصل على مكافأته عينها. وسُرَّ
لذلك وقال: "أما وقد علمتُ ذلك ، يا ربّ، كما علمتُه، لو قدّر لي أن أولد وأعيش
حياتي من جديد، فلسوف أفعّل بالضبط ما فعلتُ من أجلك."

الجنيد والحلاق

ذهب أبو القاسم الجنيد، أستاذ الصوفية، إلى مكة في ثياب متسول. وهناك رأى حلاقاً يحلق لرجل من عليّة القوم. وعندما سأله أن يحلق له ترك الحلاق الرجل الغني على الفور وحلق للجنيد دون أن يأخذ منه أي مال. بل على العكس تصدّق عليه ببعضه. بلغ التأثير بالجنيد حداً قرر معه أن يعطي الحلاق كل ما يتصدّق به عليه ذلك اليوم. واتفق أن حاجاً غنياً أقبل على الجنيد وأعطاه كيساً من الدنانير الذهبية. فمضى الجنيد إلى دكان الحلاق ذلك المساء ووهبه الذهب.

صرخ الحلاق فيه: "أي وليّ أنت حتى لا تستحي من إثابتي على فعل حب؟"

*

فانتازيا:

صرخ العابد في وجه الله: "أي إله أنت حتى تجرؤ على إثابتي على عبادتي!"

أجاب الربّ مبتسماً: "أنا محبة. فكيف أثيب؟ إنني أتمتع بمحبتك فحسب."

عندما تطلب الثواب تصير هديتك رشوة.

إذا صحّ، إلهي، ما يقال عنك من أنك تثيب أبناءك على خدمتك فإنك تجعل خدمتك

ارتزاقاً، ليس إلا. إلهي، هبني ألا أريد سواك.

"ثواب العارف من ربّه هو." (أبو يزيد البسطامي)

الفريسيّ

عندما تجول الله في الفردوس ووجد أن الجميع كانوا هناك وأنه لم تذهب نفس واحدة إلى جهنم لم يكن راضياً على الإطلاق. إن عدله يملي عليه أن يفني بوعيده. ثم لم يخلق جهنم أصلاً إذا لم يكن ينوي استعمالها؟! لذا فقد استُدعي الجميع للمثول أمام عرشه وطلب من الملاك أن يقرأ الوصايا العشر.

قرأت الوصية الأولى. قال الله: "فليمض كل من نقض هذه الوصية بنفسه إلى النار." وهكذا كان.

ثم جرى الأمر نفسه مع كل واحدة من الوصايا. وعندما همّ الملاك بقراءة الوصية السابعة لم يكن قد بقي أحد في الفردوس سوى متوحد أصلع بدين - بادي الزهو والإعجاب بنفسه.

رفع الله بصره مفكراً: "شخص واحد فقط بقي في الفردوس؟ أي مكان مقفر صارت." لذا صاح بالجميع: "فليعد الجميع!"

عندما سمع المتوحد المعجب بنفسه أن المغفرة طالت الجميع، صرخ مغتاضاً: "هذا ظلم! لمّ لم تخبرني به من قبل؟"

دِين العجوز

كانت امرأة عجوز متديّنة جداً شديدة الاستياء من جميع الأديان الموجودة، لذا فقد أسّست ديناً خاصاً بها.

ذات يوم سألتها مراسل صحافي، راغب حقاً في فهم وجهة نظرها: "هل تعتقدين حقاً، كما يقول الناس عنك، أنه لن يدخل الجنة أحد غيرك وغير خادمك ماري؟"
فكرت المرأة العجوز ملياً بالسؤال ثم أجابت: "حسن، إنني غير متأكدة تماماً بخصوص ماري."

ذكرة الحب

قال الزوج: "لم لا تكفين عن الكلام عن أخطائي الماضية؟ ظننتك غفرت ونسيت."

قالت الزوج: "لقد غفرت ونسيت فعلاً، لكنني أريد أن أتأكد أنك لم تنس أنني غفرت ونسيت."

*

الخاطيء: "رب، لا تذكر خطاياي!"

الرب: "أية خطايا؟ عليك أن تنعش ذاكرتي. لقد نسيتها منذ زمن طويل."

"المحبة تعذر كل شيء وتصدق كل شيء وترجو كل شيء وتصبر على كل شيء." (1)
كورنثوس 13)

زهرة اللوتس

أراد الغورو أن يرتدي تلاميذه لباساً خاصاً يُظهر تكريسهم للعالم ولقد سمّاه: *الشهادة*.

بينما أنا مارٌّ قرب البركة رأيت زهرة لوتس تامة التفتُّح وقلت: "ما أحلاك يا عزيزتي! وما أجمل الإله الذي براك!"

احمرّت زهرة اللوتس خَفَراً. لقد بدت أحلى في عدم اكتراثها بجمالها.

أبعد من هناك كانت ثمة بركة أخرى وجدت فيها زهرة لوتس أخرى تبسط بتلاتها نحوي قائلة بصفاقة بادية: "انظر إلى جمالي ومجدِّ بارئي."

ابتعدت مشمئزاً.

*

عندما أشرع *بالتأديب* فإني أسعى إلى استدرار إعجاب الآخرين - فأصير فريسياً حسن النية!

السلفاة

أرسل إمبراطور الصين سفيرين إلى ناسك يعيش في جبال الشمال، يدعوانه أن يصير رئيس وزراء المملكة.

بعد أيام عديدة من السفر وصل السفيران فوجدا المنسك خالياً لكن على كذب منه، وسط نهر، كان رجل نصف عار جالساً على صخرة يصيد السمك بالصنارة. أيكون هو الرجل الذي كان الإمبراطور يُجلُّه كل الإجلال؟ أكدت إجابات سكان القرية المجاورة أنه هو عينه. لذا عادا إلى ضفة النهر، وبكل ما بوسعهما من الاحترام، حاولا أن يلفتا نظر الصياد.

عبر الناسك النهر ووقف مواجهاً السفيرين، حافياً، متخاصراً.

“ماذا تريدان؟”

“أيها السيد الموقر. إن جلالته إمبراطور الصين قد سمع بحكمتك وقداستك، فأرسلنا محمّلين بهذه الهدايا. وهو يدعوك لقبول منصب رئيس وزراء المملكة.”

“رئيس وزراء المملكة؟”

“أجل، أيها السيد المحترم.”

“أنا؟”

”أجل، أيها السيد المحترم.“

”هل خرج جلالته عن طوره؟“ قال الناسك وهو يزمجر مقهقهاً، الأمر الذي أربك السفيرين.

وعندما تمكّن الناسك أخيراً من امتلاك زمام نفسه قال: ”أخبراني – هل صحيح أنه توجد فوق المذبح الكبير في الهيكل الإمبراطوري سلحفاة محنطة درعها مغشى بماسات براقّة؟“

”صحيح، أيها السيد الموقر.“

”وهل صحيح أن الإمبراطور يجتمع كل يوم مع أهل بيته ليقدموا التسبيح لهذه السلحفاة المزينة بالجواهر؟“

”صحيح، سيدي.“

”والآن، دونكما هذه السلحفاة هنا، المجرجرة ذيلها في الوحل. هل تظنان أن هذا المخلوق الصغير يرضى أن يبادل مكانه مع السلحفاة في القصر؟“

”لا، إنه لن يرضى ذلك.“

”فاغربا عن وجهي إذن وأخبرا الإمبراطور أنني أنا أيضاً لن أرضى ذلك. إذ ما من أحد يمكنه أن يبقى حياً على مَنْصَب.“

ومع ذلك، ما أكثرهم بيننا من يدفعون حياتهم كلها ثمناً للعيش كتماثيل!

بيازيد بكسر القاعدة

كان أبو يزيد البسطامي يتعمد أحياناً التصرف بما يخالف شريعة الإسلام وظاهره. اتفق له مرة، وهو عائد من مكة المكرمة، أن توقف في بلدة الريّ الفارسية. نودي في البلدة أن أبا يزيد قد جاء، فخرج الأهالي جميعاً لاستقباله وتكريمه، محدثين جلبية كبرى في البلدة. أما أبو يزيد الذي لم يطق هذا التبجيل فقد انتظر حتى بلغ ساحة السوق. وهناك أخرج من كمّهِ رغيفاً وشرع في مضغه تحت أنظار أتباعه – وكان هذا في شهر رمضان –، لكن أبو يزيد أفتى بأن سفره يبرّر له شرعياً مخالفة الفرض. لم يرَ أتباعه رأيه. ولقد استفظعوا فعلته حتى إنهم سرعان ما تركوه وحده ورجعوا عنه إلى منازلهم. علّق أبو يزيد لأحد المريدين مرضياً: "ألم ترَ كيف أعرضوا عني عندما خالفت توقّعهم وتركت مسألة واحدة من الشريعة."

ثمن الاحترام هو المحاكاة.

عقد مبطن: عش طبقاً لتوقعاتنا، وخذ منا إجلالنا.

أي احتيال على النفس يمكن أن تنطوي عليه هالة القداسة. اللهم، نجنا منها!

القوم المخططون

طرح واعظ هذا السؤال على صف من الأطفال: "إذا كان جميع الصالحين بيضاً وجميع

الطالحين سوداً، فما هو لونك أنت؟"

أجابت ماري جين الصغيرة: "أكون مخططة، يا محترم!"

وكذلك الواعظ. كذلك الماهاتماوات والباباوات والقديسون.

كان رجل يبحث عن كنيسة جيدة يرتادها، واتفق له أن دخل واحدة كانت جماعة

المصلين والواعظ فيها يقرؤون في كتاب صلواتهم قائلين: "الذي أريده لا أفعله، وأما

الذي أُرغب عنه فإياه أفعل."

تهاوى الرجل على مقعد وتنفس الصعداء وهو يقول لنفسه: "الحمد لله، فقد وجدت

جمعي أخيراً."

محاولاتك إخفاء تخطيطك قد تفلح أحياناً، لكنها كاذبة دوماً.

يقول أبو يزيد البسطامي: "يا متقّرئ! أر كما أنت، أو كن كما تُرى."

موسيقى الطرشان

عندما كنت أصماً، كنت أرى الناس يقفون ثم يأخذون بأجسامهم بإنشاء مختلف أنواع
الدوائر ويسمّون ذلك رقصاً. كان ذلك يبدو سخيلاً في نظري - حتى جاء يوم سمعت
فيه الموسيقى!

يصعب علي فهم ما يجعل القديسين - والعاشقين - يتصرفون علي نحو ما يفعلون. لذا
أنتظر أن تُبعث الحياة في قلبي.

ثروات

الزوج: "سوف أجتهد في العمل، ويوماً ما سوف نصير أغنياء."

الزوج: "نحن أغنياء الآن، عزيزي، لأننا معاً. ولربما صار عندنا مال يوماً ما."

القناعة كنز لا يفنى.

صياد السمك القنوع

استهجن الصناعي الثري من الشمال منظر صائد السمك الجنوبي متمدداً بكسل قرب مركبه ، مدخناً غليونه.

سأل الصناعي: "لماذا لست في البحر صائداً؟"

أجابه الصياد: "لأنني اصطدت ما يكفي من السمك لهذا اليوم."

"ولم لا تصطاد المزيد منه؟"

"وماذا أفعل به؟"

فكان جواب الصناعي: "يمكنك أن تكسب مالاً أكثر. وبذلك المال يصير بمقدورك شراء محرك تثبته على قاربك والإبحار في مياه أعماق وصيد المزيد من السمك. وبذلك تكسب ما يكفي لشراء شباك من النايلون. وهذه ستجلب لك المزيد من السمك والمزيد من المال. وسرعان ما يصير لديك ما يكفي من المال لامتلاك قاربين... وحتى أسطول من القوارب ربما. وعندئذ تصير غنياً مثلي."

"وماذا أفعل عندئذ؟"

"عندئذٍ يمكنك التمتع بالحياة حقاً."

"وماذا تظنني فاعلاً الآن؟"

أيتهما تفضل أن تكون لك : ثروة أم القدرة على التمتع؟

أيتهما تفضل أن تكون لك : القدرة على التمتع بالحياة أم الحياة نفسها؟

جرار الذهب السبع

كان حلاق ماراً تحت شجرة مسكونة حين سمع صوتاً يقول: "هل لك في الحصول على جرار الذهب السبع؟" تلفت الرجل من حوله فلم يجد أحداً. لكن الطمع استيقظ فيه، فصاح متشوقاً: "أجل، بالتأكيد أرغب." أجابه الصوت: "فاذهب إذن من فورك إلى البيت، وسوف تجدها هناك."

قطع الحلاق كل الطريق إلى البيت راکضاً. وكما توقع، كانت الجرار السبعة هناك – طافحة كلها بالذهب، ماعدا واحدة منها كانت نصف ممتلئة فقط. على أن الحلاق لم يطق فكرة أن تكون لديه جرة نصف مملوءة. شعر بحاجة ملحةً للثأ، وإلا فلن يعرف للسعادة طعماً.

لذا جمع كل حليّ أسرته وصهرها في قطع نقدية وصيها في الجرة نصف المملوءة. لكن الجرة بقيت على حالها نصف مملوءة كما كانت من قبل. كان هذا مثار اغتياظ شديد! اقتصد وقتراً وجوع نفسه هو وأسرته. دون جدوى. فمهما وضع من الذهب في الجرة بقيت نصف مملوءة.

وذات يوم توسل إلى الملك أن يزيد له أجره. فضاعف له الملك الأجر. واستعرت معركة ملء الجرة من جديد. كانت الجرة تلتهم كل قطعة ذهب تلقى فيها وتصر على البقاء نصف مملوءة.

ثم إن الملك ما عتم أن لاحظ مبلغ نحول الحلاق فسأله: "ماذا دهاك؟ كنت أسعد وأفنع بكثير عندما كان أجرك أقل. أما وقد تضاعف الآن فقد أمسيت منهكاً مغموماً. أيكون أن جرار الذهب السبع بحوزتك؟"

دهش الحلاق وسأل: "من أخبرك بالأمر، مولاي؟"

ضحك الملك وقال: "هذه قطعاً أعراض الشخص الذي يعطيه الشيخ الجرار السبع. لقد عرضها عليّ ذات مرة. وعندما سألت عما إذا كان إنفاق هذا المال ممكناً، أم أنه فقط للكَنْز، تلاشى دون أن يفوه بكلمة. هذا المال لا يمكن إنفاقه. إنه يجلب معه فقط دافعاً لا رادَ له للكَنْز. اذهب من فورك ورددّه إلى الشيخ ولسوف تعرف السعادة من جديد."

"أنا لا أسعى أن أكون غنياً، أرغب فحسب أن "أعيش"."
كذا يدعي معظم الناس، الواقعون في فخ الشيخ وجراره السبعة.

مثل من الحياة الحديثة

التأم مجلس الحيوان وبدأ كل منها يشكو حرمان البشر إياها من أشياءها.

قالت البقرة: "إنهم يأخذون لبنني."

وقالت الدجاجة: "إنهم يأخذون بيضي."

وقال الخنزير: "إنهم يأخذون لحمي لصنع البيكون."

وقال الحوت: "إنهم يصيدونني من أجل زيتي."

أخيراً تكلمت البزاقة: "إنني أملك شيئاً لو استطاعوا لحرمونني إياه قطعاً. شيئاً

يريدونه أكثر من كل شيء آخر. إنني أملك الوقت."

لديك كل ما في العالم من وقت، إذا أعطيته لنفسك. فماذا يوقفك؟"

حافظ حايبم

يحكى إنه في القرن الماضي زار أحد السائحين الأمريكيين الرباني البولوني الشهير حافظ حايبم.

ولكم كان مبلغ دهشته عندما رأى أن منزل الرباني كان عبارة عن غرفة بسيطة مملوءة كتباً وأثاثها الوحيد طاولة ومقعد.

سأل السائح: "رابي، أين أثاثك؟"

أجابه حافظ: "وأين أثاثك أنت؟"

"أثاثي؟! ما أنا إلا سائح هنا."

"وأنا كذلك،" قال الرباني.

السماء والغراب

قصة من البهغفتا بورانا:

طار غراب ذات مرة في السماء وفي منقاره قطعة لحم. انطلق عشرون غراباً في إثره
وهاجموه بشراسة.

أخيراً ترك الغراب قطعة اللحم تسقط. عندئذٍ تركه مطارده وشأنه وطاروا زاعقين
وراء كسرة اللحم.

قال الغراب: "لقد خسرت اللحم وربحت هذه السماء الساكنة."

قال راهب زن:

"عندما احترق منزلي كله صار لي أن أرى قمر الليل دون حاجز بيننا!"

من ذا يستطيع سرقة القمر!

كان معلم الزن ريوكن يعيش حياة بسيطة للغاية في كوخ صغير عند سفح الجبل. وذات ليلة، بينما كان المعلم متغيباً، اقتحم لص الكوخ ليجد أن ليس ثمة ما يسرق. عاد ريوكن وأمسك باللص وقال له: "لقد كُلفت نفسك مشقة كبيرة بزيارتي. لذا لن أدعك تذهب خالي الوفاض. أرجوك، خذ ثيابي وثناري هدية."

أخذ اللص الثياب، وهو في غاية الحيرة، وانسل ماضياً.

جلس ريوكن عارياً، وأخذ يشاهد القمر. فخطر بباله: "يا للرجل الشقي! ليتني كنت أستطيع أن أعطيه ضوء القمر البديع."

الماسة

كان السنِّياسي قد بلغ أطراف القرية، وجلس تحت شجرة ليبيت ليلته عندما أتاه قروي يعدو وقال له: "الحجر! الحجر! أعطني الحجر الكريم!"
"أي حجر؟" سأل السنِّياسي.

قال القروي: "ليلة أمس ظهر لي الربّ شيفا في الحلم وأبلغني أنني إذا قصدت أطراف القرية عند الغسق سأجد سنِّياسي يعطيني حجراً كريماً يجعلني غنياً إلى الأبد."
فتش السنِّياسي في كيسه وأخرج منه حجراً وقال للرجل وهو يناوله إياه: "لا بد أنه قصد هذا الحجر. لقد وجدته على درب في الغابة منذ بضعة أيام. يمكنك الاحتفاظ به قطعاً."

حدّق الرجل في الحجر مشدوهاً. كان ماسة، كبيرة، لعلها أكبر ماسة في العالم بأسره، إذ كان حجمها بحجم رأس إنسان.

أخذ الماسة وسار مبتعداً. وظل طوال الليل يتقلب في فراشه ساهداً. وفي اليوم التالي عند بزوغ الفجر قصد السنِّياسي وأيقظه قائلاً: "أعطني ذلك الغنى الذي جعلك قادراً على التخلي عن هذه الماسة بهذه السهولة."

أطلب النفس الرضية

قال الربّ فشنو لعابده: "لقد سئمت طلباتك الدائمة. لذا قررت أن ألبّي لك أول ثلاث رغبات تطلبها أيّاً كانت. وبعدئذٍ لن أعطيك شيئاً فوقها أبداً.

أدى العابد طلبته الأولى على الفور سريعاً مسروراً. لقد سأل أن تموت زوجته لكي يستطيع الزواج من امرأة أفضل منها. وقد لبّيت طلبته على الفور.

لكن عندما اجتمع أصدقاؤه وأقرباؤه من أجل الجنائز وبدؤوا يستذكرون خصال زوجته الحميدة أدرك العابد أنه قد تسرّع. لقد أدرك أنه قد عمي عن جميع فضائل زوجته. فهل يسعفه الحظ في إيجاد امرأة تماثلها خصالاً؟

وهكذا سأل الربّ أن يعيدها إلى الحياة! وبذلك بقيت له طلبة واحدة بعد. وقد عزم ألا يخطئ الاختيار هذه المرة، إن لن تتاح له الفرصة لتصويب خطئه. استشار الكثيرين فنصح له بعض أصدقائه أن يطلب الخلود. ولكن لا خير في الخلود – قال آخرون – بدون الصحة الطيبة. وما نفع الصحة بدون المال؟ وما نفع المال بدون الأصدقاء؟

مضت سنون ولم يقرّر له قرار حول ما سيطلب: الحياة أم الصحة أم الغنى أم السلطة أم الحب. وأخيراً خاطب الربّ قائلاً: "انصح لي، رحماك، ماذا أطلب."

ضحك الربّ عندما رأى حيرة الرجل، وقال: "اسأل الرضا أيّاً كان ما تحصل عليه."

قال سفيان الثوري عند رابعة العدوية: "اللهم ارضَ عني." فقالت له: "أما تستحي أن
تطلب رضا من لست عنه براصٍ؟!"

المعرض العالمي للأديان

ذهبت وصديقي إلى المعرض: المعرض العالمي للأديان. لم يكن معرضاً تجارياً، لكن المنافسة فيه لم تكن أقل شراسة، والدعاوة لم تكن أقل صحباً.

في الجناح اليهودي أعطونا نشرة تقول إن الله رحيم وإن اليهود شعبه المختار. اليهود فقط. وحدهم دون غيرهم من الشعوب اختيروا شعباً لله.

في الجناح الإسلامي تعلّمنا أن الله رحمن رحيم، أن محمد خاتم أنبيائه، وأن النجاة من النار لا تكون إلا باتباع رسول الله.

في الجناح المسيحي اكتشفنا أن الله محبة، وأن لا خلاص خارج الكنيسة. فإما أن ننضم إليها أو تعرّض نفسك للهلاك الأبدي.

في طريقنا للخروج سألت صديقي: "ما قولك في الله؟" أجاب: "إنه متمزّت، متعصب، قاس."

قلت لله عند عودتي إلى البيت: "ربي، كيف تصبر على مثل هذا الأمر؟ ألا تراهم يشيئون اسمك منذ قرون؟"

قال الله: "لست أنا من نظّم المعرض. الواقع أنني أخرج من زيارته."

التحيز

قفلت راجعاً إلى المعرض. سمعت هذه المرة خطبة لكبير كهنة ديانة بالاكري. ولقد قيل لنا إن النبي بالاكري هو المسيح المولود في أرض ميزامبيا المقدسة العائدة للقرن الخامس.

في تلك الليلة كان لي لقاء آخر مع الله. "أنت شديد التحيز، يا الله، ألسنت كذلك؟ لماذا ينبغي أن يكون القرن الخامس هو القرن المتنور، ولماذا ينبغي أن تكون ميزامبيا هي الأرض المقدسة حصراً؟ ما العيب في قرننا هذا على سبيل المثال؟ وما العيب في أرضي؟"

على ذلك أجاب الله: "يوم العيد يوم مقدس لأنه يبين أن جميع أيام السنة أيام مقدسة. والحرَم مقدس لأنه يبين أن جميع الأماكن مقدسة. كذا يدعى المسيح ابن الله ليبين أن الإنسانية قاطبة إلهية."

يسوع في مباراة كرة القدم

قال يسوع المسيح إنه لم يحضر قط مباراة كرة قدم. لذا فقد اصطحبناه، أصدقائي وأنا، إلى إحداها. كانت معركة حامية الوطيس بين الضاربين البروتستانت والصلبيين الكاثوليك.

استهل الصليبيون التسجيل. هتف يسوع بحماس وقذف قبعته عالياً في الهواء. ثم ما لبث الضاربون أن سجّلوا. فهتف يسوع بحماس وقذف قبعته عالياً في الهواء.

تحيرّ الرجل الجالس خلفنا في الأمر على ما يبدو. فإذا به يربت على كتف يسوع ويسأل: "أي الفريقين تُشجّع يا صاحبي؟"

"أنا؟" أجاب يسوع وقد بدا تحمسه للمباراة واضحاً. "أوه، لا أشجع هذا ولا ذاك. أنا أستمتع بالمباراة وحسب."

التفت السائل إلى جاره وقال مستهجنًا: "آآ، ملحد!"

سألناه في الأمر بعد المباراة. هل من شيء ألا ينحاز إلى أحد أبداً؟ فقال يسوع: "إنني أنحاز إلى الناس، لا إلى الأديان. إلى الإنسان، لا إلى السبت."

كراهية دينية

قال سائح لدليله: "حَقَّ لك أن تفخر بمدينتك. لقد أعجبتني خاصة عدد الكنائس

فيها. لا بد أن الناس هنا يحبون الربّ."

فأجابه الدليل الساخر: "لعلهم يحبون الربّ، لكنهم قطعاً يكرهون بعضهم بعضاً كره

العمى."

مثل ذلك كمثّل طفلة صغيرة سُئلت: "من هم الوثنيون؟"، فأجابت: "الوثنيون قوم لا

يختصمون حول الدين."

الصلاة الهجومية والصلاة الدفاعية

كان فريق كرة القدم الكاثوليكي في طريقه إلى مباراة هامة. استقل مراسل صحفي القطار وطلب مقابلة مدرب الفريق.

قال المراسل: "أظنكم قد اصطحبتم قسيساً للصلاة من أجل فوز الفريق. هل تمنع في تقديمه لي؟"

فأجابه المدرب: "بكل سرور. أي القسيسين تريد أن تقابل، قسيس الهجوم أم قسيس الدفاع؟"

إيديولوجيا

هو ذا تقرير صحفي عن التعذيب الذي يمارس في معسكرات الاعتقال الحديثة :

يوثق الضحية إلى كرسي معدني. ثم يعاجل بصدمات كهربائية متزايدة الشدة، حتى يعترف.

يكوّر الجلاد راحة يده ويضع الضحية على أذنه صفعاً متكرراً حتى تنتقب طبله الأذن.

يُشدُّ السجين إلى كرسي طبيب أسنان. ثم يحفر الطبيب حتى يبلغ العصب. ويستمر الحفر حتى يوافق الضحية على التعاون.

ليس الناس قساة بطبعهم. لكنهم يصيرون كذلك عندما يكونون تعيسين – أو عندما يخنعون لإيديولوجيا ما. إيديولوجيا ضد إيديولوجيا أخرى، نظام ضد نظام آخر، وإنسان مسحوق بين هذا وذاك.

أغلب الظن أن الذين صلبوا يسوع [ورجموا استفانوس] لم يكونوا قساة.. فلعلهم كانوا أزواجاً لطيفين وآباء محبين، لكنهم المحافظة على نظام أو إيديولوجيا أو دين ما صيرتهم قادرين على استسهال أفظع ضروب القسوة.

لو أن المتديئين تبعوا دائماً غريزة قلوبهم بدلاً من منطق دينهم لأُعفينا من مشاهد إعدام
الزنادقة حرقاً، والأرامل السائرات في المحارق الجنائزية، وملايين الأبرياء المذبوحين في
حروب تُشنُّ باسم الله.

الرحمة لا تعترف بالإيديولوجيا.

تغيير العالم بتغيير نفسي

يقول الصوفي بيازيد عن نفسه :

”كنت ذا حميَّة وأنا بعد شاب وكان دعائي إلى الله: ”ربي أعطني القوة على تغيير ما بأنفس الخلق.“

”وعندما بلغت منتصف العمر وتحققت أن نصف عمري راح بدون أن أغير نفساً واحدة، غيرت دعائي إلى: ”ربي أعطني نعمة تغيير ما بأنفس من يتصلون بي، أسرتي وخالاني وحسب، وسأرضى بذلك.“

”أما وقد شخت الآن وباتت أيامي معدودة فإن دعائي الوحيد هو: ”ربي أعطني نعمة تغيير ما بنفسي.“ فلو أني دعوت بذلك منذ البداية لما ذهب حياتي سدى.“

”إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.“ صدق الله العظيم (الرعد 11).

ثوار مدجنون

كان رجلاً صعب المراس، تفكيره مختلف عن تفكيرنا وتصرفاته مختلفة عن تصرفاتنا. كان يشك بكل شيء. هل كان ثائراً أم نبياً أم في عقله لومة أم بطلاً؟ "ومن يستطيع معرفة الفرق؟" كنا نقول. "ومن يبالي أصلاً؟"

لذا فقد هملناه. وعلمناه أن يكون حساساً للرأي العام ولمشاعر الآخرين. وجعلناه يتأقلم. بذلك أضحي الآن شخصاً سهل المراس، حسن التكيّف. لقد طوعناه وجعلناه سهل الانقياد.

ثم هئأناه على إمساكه بزمام أمره. وبدأ هو أيضاً يهتئ نفسه بذلك. لم يتبيّن أننا نحن من أمسكنا بزمام أمره.

دخل رجل ضخم الجثة إلى الغرفة المزدحمة وصاح: "هل يوجد شخص يدعى مورفي هنا؟" انتصب شخص ضئيل الحجم وقال: "أنا مورفي."

كاد الرجل الضخم أن يقتله. فقد كسر خمسة من أضلعه، وحطم أنفه، وسوّد عينيه، وألقاه كومة على الأرض. ثم خرج يخبط الأرض.

كم كانت دهشتنا عظيمة بعد ذهاب الرجل الضخم عندما رأينا الشخص الضئيل يضحك في عبّه قائلاً لنفسه همساً: "حقاً لقد مكرتُ بالرجل. فأنا لست مورفي! ها، ها!"

إن مجتمعاً يَدَجِّن ثواره يكسب سلامته ، لكنه يخسر مستقبله .

الخروف الضال

مثل من أجل المربين الدينيين:

وجد خروف ثغرة في السياج وانسل من خلالها. تجول بعيداً حتى تاه عن طريق العودة.

ثم أدرك أن ذئباً يتبعه، فطفق يعدو ويعدو، لكن الذئب ظل يطارده، حتى جاء الراعي وأنقذه وعاد به يحمله بمحبة إلى القطيع.

وعلى الرغم من تحذيرات الجميع من بقاء الثغرة في السياج فقد رفض الراعي تسميرها.

ما أحسن ظن الله بي، وما أسوأ ظني به!

التفاحة الكاملة

لم يكد نصر الدين ينهي خطبته حتى بادره هازئ من الجمع قائلاً: "بدلاً من إسهابك في نسج النظريات الروحية، لم لا ترينا شيئاً عملياً؟"

أخذ نصر الدين المسكين على حين غرة. ثم ما لبث أن تمالك نفسه وسأل: "أي نوع من الأشياء العملية تريدني أن أريك؟"

قال الهازئ وقد أخذته خفة من إحراجة الملاً وتركه أثراً في الجمع: "أرنا مثلاً تفاحة من الجنة."

التقط نصر الدين من فوره تفاحة وناولها للرجل الذي قال: "لكن هذه التفاحة فاسدة من أحد جوانبها. إن تفاحة الجنة يجب أن تكون كاملة حتماً."

فقال الملاً: "إن التفاحة السماوية لا بد أن تكون كاملة بالفعل. إنما، بالنظر إلى ملكاتك الحالية، هذه التفاحة أقرب ما يمكنك الحصول عليه من تفاح الجنة."

هل للمرء أن يتوقع رؤية تفاحة كاملة بعين ناقصة؟

أو أن يكتشف الطيبة في الآخرين بقلب أناني؟

إن المصطلحات التي نستعمل للإشارة إلى الحقائق الروحية مستمدة من العالم الأرضي النسبي. فلكي ننفذ إلى بعد وجودي أعلى ينبغي علينا أن نتسلح بأدوات المعرفة الخاصة

بهذا البعد، ونجتنب قياس الأعلى بباع الأدنى. الأعلى يشتمل على الأدنى، بينما الأدنى تجلُّ للأعلى ورمز إليه ليس إلا. هي ذي رواية الزنُّ لقصة التفاحة بتكثيف أشد: سأل تلميذ معلمه إشارة إلى الحق فيما يتعدى الحقائق، فناوله المعلم تفاحة فاسدة. استنار التلميذ من فوره.

الجارية

وقع هوى جارية في قلب ملك مسلم فنقلها من الخدمك إلى القصر. وإن انتوى أن يتزوجها ويجعلها زوجه الأثيرة، أصاب الفتاة داء شديد إصابة غامضة يوم دخولها القصر نفسه.

وظلت حالها تسوء باطراد، فأعطيت كل دواء معروف، لكن بدون جدوى. حتى صارت الفتاة المسكينة تتأرجح بين الحياة والموت.

وإن قنط الملك من شفائها، أعلن منح نصف مملكته لمن يستطيع أن يشفيها. ولكن من ذا يجرؤ على علاج مرض استعصى على خيرة أطباء المملكة؟

أخيراً قدم حكيم وسأل الملك خلوة مع الفتاة. وبعد أن كلمها ساعة، مَثَل أمام عرش الملك الذي كان ينتظر رأيه ملهوفاً.

قال الحكيم: "مولاي. عندي فعلاً الدواء الناجع لداء الفتاة. وإنني على يقين من نجوعه. فإذا لم يشف جارية مولاي فليضرب مولاي عنقي. غير أن الدواء الذي فيه الشفاء سيكون شديد الإيلام – ليس للفتاة، بل لمولاي."

صرخ الملك: "اذكر دواءك يارجل، ولسوف يعطى لها، مهما كان ثمنه."

نظر الحكيم إلى الملك بعين الرأفة وقال: "الفتاة تهوى واحداً من عبيدك. أجز لها أن تتزوجه ولسوف تشفى في الحال."

يا للملك المسكين! كانت رغبته في الفتاة أشد من يدعها تذهب. وكان حبه لها أقوى من أن يتركها تموت.

كونفوشيوس الحكيم

قال بو شانغ لكونفوشيوس ذات مرة: "أي حكيم أنت إذ تقول إن ين هوي يفضلك استقامة؟ وإن توان مو تسو يتفوق عليك في إيضاح الأمور؟ وإن تشونغ يو أشجع منك؟ وإن تشوان سون شيه أجلّ منك قدراً؟"

وفي تلثفه إلى سماع الجواب تحرك بو شانغ إلى حافة الحصير حتى كاد يجلس خارجها. وأضاف: "إذا صحّت هذه الأشياء لماذا يتتلمذ عليك هؤلاء الرجال الأربعة إذن؟"

أجاب كونفوشيوس: "ابق جالساً حيث أنت وسوف أقول لك. ين هوي يعرف كيف يكون مستقيماً لكنه لا يعرف كيف يكون ليئلاً. توان مو تسو يعرف كيف يوضح الأمور لكنه لا يعرف كيف يجيب ببساطة بنعم أو بلا. تشونغ يو يعرف كيف يكون شجاعاً لكنه لا يعرف كيف يكون حذراً. تشوان سون شيه يعرف كيف يكون جليلاً لكنه لا يعرف كيف يكون متواضعاً. هذا ما يجعل هؤلاء الرجال الأربعة مسرورين بالتلمذ عليّ."

يقول مولانا جلال الدين الرومي: "اليد المفتوحة دائماً أو المغلقة دائماً يد كسيحة، والظائر الذي لا يستطيع فتح جناحيه وإغلاقهما لا يستطيع الطيران."

أكرم بها من معصية!

كان للصوفي الحصيدي بعل شمْ توف طريقة عجيبة في الدعاء إلى الله. إذ كان يدعو:
”تذكر يا رب أنك تحتاج إليّ بقدر ما أحتاج إليك. فلو لم تكن موجوداً فإلى من كنت
سأدعو؟ ولو لم أكن موجوداً، فمن كان سيدعو إليك؟“

إنه لما يترع قلبي فرحاً أن أفكر بأني لو لم أعصَ لما كان الله غفوراً.
”نحن جعلناه بمألوهيتنا إلهاً، فلا يُعرَف حتى نعرِف.“ (ابن عربي)

جوزة الهند

قذف قرد على شجرة بثمره جوز هند على رأس صوفي.

ثقب الرجل جوزة الهند فشرّب لبنها، وأكل لبها، وصنع طاسة من قشرها.

أشكرك على نقدك لي.

الحكيم الحكيم من يستخلص العبرة من أصعب المحن.

صوت المغني يملأ القاعة

حوار سُمع بغير قصد خارج قاعة للحفلات :

”يا له من مغنٍ! لقد ملأ صوته القاعة.“

”أجل، فلقد اضطر بعضنا إلى مغادرة القاعة لإفساح المجال له!“

*

وحوار سُمع بغير قصد في جلسة إرشاد روحي :

”كيف يمكنني أن أحب الله كما تأمرنا الكتب؟ كيف يمكنني أن أهبه قلبي كله؟“

”عليك أولاً أن تفرغ قلبك من كل المخلوقات.“

ألا بنس النصح نصحك! لا تَحْفُ أن تملأ قلبك بالناس والأشياء التي تحبّ، إذ إن حب الله لن يشغل من قلبك مكاناً يزيد عن المكان الذي يشغله صوت مغنٍ في قاعة الحفل.

المحبة ليست مثل رغيف الخبز. إذا أعطيتك كسرة من الرغيف فما يبقى منه عندي لأقدمه للآخرين أقل. المحبة كخبز القربان: أستقبل فيه المسيح كله. وتستقبل أنت فيه المسيح كله أيضاً، وكذلك الشخص التالي، والذي يليه.

بوسعك أن تحب أمك من كل قلبك؛ وكذلك زوجك؛ وكل واحد من أبنائك. والعجب في ذلك أن إعطائك كل الأمر لشخص ما لا يحملك على إعطاء أقل لسواه. فعلى العكس، يحصل كل منهم بذلك على المزيد. ذلك أنك إذا أحببت صديقك فقط، ولا أحد سواه، فإن القلب الذي تقدمه قلب هزيل. إذ إن صديقك سيكسب المزيد لو أنك أعطيته أيضاً للآخرين.

والله هو الخاسر لو أنه أصرّ على إعطائك كل قلبك له وحده. أعط قلبك بسخاء للآخرين، لأسرتك، لأصدقائك، لأعدائك، وسيكسب الله عندما تقدم له قلبك برمته.

وأن يملأ شخص ما حياتنا كلها، لا ينفي أيضاً أن يملأ كل الناس حياتنا، وأن يملأ الله حياتنا. تماماً كالقاعة يملؤها الناس ويملؤها الصوت. وقد يملؤها بالنسبة لي شخص واحد بعينه أو نعمة واحدة بذاتها.

“إذا قال أحد: ”إني أحب الله“ وهو لا يحب أخاه كان كاذباً لأن الذي لا يحب أخاه وهو يراه لا يستطيع أن يحب الله وهو لا يراه.“ (1 يو 4: 20)

عندما عجزوا عن محبة الإنسان وعن محبة الخلق، توهموا أنهم يحبون الله وأنهم يغارون عليه. ألا بنس القلوب قلوبهم!

شكراً ونعم

ما الذي تعنيه محبة الله؟ المرء لا يحبه بالطريقة التي يحب بها الناس الذين يراهم ويسمعهم ويلمسهم، من حيث إن الله ليس شخصاً بالمعنى الذي نعنيه بهذه الكلمة. إنه المجهول. إنه الآخر بالكلية. إنه يفوق مصطلحات من نحو: هو وهي، شخص وشيء. عندما نقول إن الجمهور يملأ القاعة وإن صوت المغني يملأ القاعة فإننا نستخدم الكلمة عينها للإشارة إلى واقعين متميزين كل التمييز. وعندما نقول إننا نحب الله من كل قلبنا وإننا نحب صديقنا من كل قلبنا فإننا نستخدم أيضاً الكلمات نفسها للتعبير عن واقعين متميزين كل التمييز. إن صوت المغني لا يملأ القاعة حقاً. ونحن لا نستطيع أن نحب الله حقاً بالمعنى العادي للكلمة.

إن محبة الله من القلب كله تعني أن يقول المرء من صميم قلبه نعم للحياة ولكل مآتيها. أن يقبل، بدون تحفظات، كل ما قدر الله لحياته. أن يكون موقفه موقف يسوع حين قال: "لا ما أنا أشاء، بل ما أنت تشاء." أن يحب المرء الله من كل قلبه يعني أن يتبنى الكلمات التي شهرها نَعْ همرشولد:

على كل ما كان، الشكر.

لكل ما سوف يكون، نعم.

هذا النوع من الأشياء هو الذي يمكن للمرء أن يقدمه لله وحده. ففي هذا لا يجاريه أحد. إن فهم أن هذا هو ما تعنيه محبة الله هو إدراك فوري بأنها لا تعترض طريق محبتك أصدقاءك من صميم قلبك محبة حنوناً متقدمة.

إن صوت المغني يبقى محتلاً القاعة بلا منازع، مهما كان مقدار ازدحامها بالناس. فهؤلاء الناس لا يزاحمون الصوت. إن المزاحم الوحيد هو شخص أو شيء يتسبب في إضعاف موقف النعم والشكر الذي تقف.

سمعان بطرس

حوار من الإنجيل:

فقال لهم: "ومن أنا في قولكم أنتم؟"

فأجاب سمعان بطرس: "أنت المسيح ابن الله الحي."

فأجابه يسوع: "طوبى لك يا سمعان بن يونا، فليس اللحم والدم كشفك لك هذا، بل أبي الذي في السماوات."

حوار من الحياة:

يسوع: ومن أنا في قولك أنت؟

المسيحي: أنت ابن الله الحي.

يسوع: صحيح. ولكن ما أتعسك علمت هذا من اللحم والدم ولم يكشفه لك أبي بعد.

المسيحي:

صحيح يا ربّ. لقد خُدِعت. فأحدهم أعطاني الجواب قبل أن ينطق
به أبوك. واني لأعجب لحكمتك إذ لم تقل أنت شيئاً لبطرس، بل
انتظرت نطق أبيك أولاً.

المرأة السامرية

تركت المرأة جرتها، وذهبت إلى المدينة فقالت للناس: "هلموا فانظروا رجلاً ذكر لي كل ما فعلت. أتراه المسيح؟"

*

المسيحي: أكرم بهذه المرأة السامرية من معلمة! لم تقدم جواباً بل اكتفت بطرح سؤال. لا بد أن إعطاء الجواب كان مغريباً لأنها حصلت عليه منك مباشرة عندما قلت: "أنا هو، أنا الذي يكلمك."

فآمن منهم عدد أكبر كثيراً عن كلامه، وقالوا للمرأة: "لا نؤمن الآن عن قولك، فقد سمعناه نحن وعلمنا أنه مخلص العالم حقاً."

*

المسيحي: لقد اكتفيت بالمعرفة عنك يا ربّ قبيلاً عن قيل. من الكتب ومن القديسين، من البابوات ومن الواعظين. لييتني أستطيع أن أقول لهم جميعاً: "لا أؤمن الآن عن قولكم، فقد سمعته بنفسي."

جون فريمان: "وكنّت آنذاك تؤمن بالله؟"

كارل غوستاف يونغ: "أوه! نعم."

ج. ف.: "وهل تؤمن بالله اليوم؟"

ك. غ. ي.: "اليوم؟... الجواب على هذا صعب. أعرف. لست بحاجة إلى الإيمان.
أعرف."

"مساكين! أخذوا علمهم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا من الحيّ الذي لا يموت."

أبو يزيد البسطامي

أجل، مسكين أنا، كلما توهمتُ أن مراكمة المعلومات تغنيني عن الخبرة الحيّة.

إِغْنَابِيوس من لويولا

قال متصوف القرن السادس عشر إغناطيوس من لويولا عن نفسه إنه ساعة اهتدائه لم يجد أحداً يقصده مسترشداً، لذا فقد علّمه الربّ نفسه كما يعلمُّ أستاذ المدرسة طفلاً صغيراً. وقد صرّح ذات مرة بأنه حتى لو قيّض لكل الكتب المقدسة أن تتلف، لظل متمسكاً بما كشفتُ بسبب ما علّمه إياه الربّ شخصياً.

المسيحي: أما أنا فقد حظيت لسوء طالعي بكثير من الأشخاص قصدتهم مسترشداً. لقد أرهقوني بتعاليمهم الملحة حتى كدت لم أعد أسمعك وسط الضوضاء. ما خطر ببالي قط أن بوسعي تحصيل معرفتي منك مباشرة، إذ كانوا يقولون لي أحياناً: "لن تحظى بمعلمين سوانا. كل من يصغي إلينا يصغي إليه."

لكنني أخطئ إذ ألومهم أو آسف على حضورهم في مطلع حياتي. فأنا من يجب أن يلام. إذ قد أعوزني الثبات لإسكاتهم، والشجاعة على الاكتشاف بنفسي، والصبر على انتظار ساعتك الموقوتة، والثقة بأنك يوماً ما، في مكان ما، سوف تكسر صمتك وتسفر عن نفسك لي.

فهرس المحتويات

كلمة الناشر	5
إهداء	7
مقدمة المترجم	9
كُل ثمرتك أنت	19
فارق جوهرى	20
أغنية الطائر	21
الإبرة	23
الفيل والجرذ	24
الحمامة الملكية	25
القرد ينقذ السمكة	26
ملح وصوف فى الجدول	27
البحث عن الحمامار	28
الروحانية الحققة	29
السمكة الصغيرة	30
هل سمعت ذلك الطائر يغنى؟	32
أقطع الحطب!	34
أعواد الخيزران	36
الوعى الدائم	38
القداسة فى اللحظة الحاضرة	39
أجراس المعبد	40
الكلمة صار جسداً	42
الوثن البشرى	44
التفتيش فى الموضع الخاطن	45
السؤال	46
صناع اللصاقات	47

الورْد	49
المستكشف	50
توما الأكويني يتوقف عن الكتابة	51
الدرويش المتوجّع	52
نغمة واحدة من الحكمة	53
ماذا تقول؟	54
الشیطان وصديقه	56
مات نصر الدين	57
عظام لامتحان إيماننا	59
لماذا يموت الصالحون	60
المعلم لا يعرف	61
حدّق في عينيه	62
قمح من القبور المصرية	64
تعديل الكتب المقدسة	65
المحترفون	66
الخيراء	67
حساء حساء البطة	68
تنين النهر	70
السهم المسموم	71
الرضيع يكف عن البكاء	72
البيضة	74
اصرخ لتحفظ سلامتك - ويقينك	76
ماء نهر للبيع	77
الحجاب	78
نصر الدين في الصين	79
قطعة الغورو	80
الحلل الشعائرية	81
الهندباء البرية	82

لا تتغير	84
وليّ	85
الأعرابي	87
نحن ثلاثة وأنت ثلاثة	88
وقد تكون الصلاة خطرة	91
نارادا	92
القَدْر في رمي قطعة نقدية	94
صلاة الاستسقاء	95
التغلب المعاق	96
الله الغداء	97
الرهبان الخمسة	98
الوظيفة	100
ديوجينيس	102
انهض واقفاً وتمالك نفسك	103
دكان الحقيقة	104
الطريق الضيق	105
المنافق	106
عقد ضائع	107
جيد جداً، جيد جداً	109
أبناء يموتون في الحلم	110
النسر الذهبي	111
فرخ البط	112
دمية الملح	113
من أنا؟	114
العاشق الثرثار	116
ترك الـ"أنا"	117
اترك لاشيئتك	118
المسيحي ومعلم الزن	119

عزاء لإبليس	121
النوم ولا الذمّ	122
الراهب والمرأة	123
الأزمة القلبية الروحية	124
معرفة المسيح	125
نظرة يسوع	127
البيضة الذهبية	128
البشرى السارة	130
الجنيد والحلاق	132
الفريسيّ	134
دين العجوز	135
ذاكرة الحب	136
زهرة اللوتس	137
السلحفاة	139
ببازيد يكسر القاعدة	142
القوم المخطّون	143
موسيقى الطرشان	144
ثروات	145
صياد السمك القنوع	146
جرار الذهب السبع	148
مثل من الحياة الحديثة	150
حافظ حايميم	151
السماء والغراب	152
من ذا يستطيع سرقة القمر؟	153
الماسة	154
أطلب النفس الرضيّة	155
المعرض العالمي للأديان	157
التحيّر	158

يسوع في مباراة كرة القدم	159
كراهية دينية	160
الصلاة الهجومية والصلاة الدفاعية	161
إيديولوجيا	162
تغيير العالم بتغيير ما بنفسه	164
ثوار مدجنون	165
الخروف الضال	167
التفاحة الكاملة	168
الجارية	170
كونفوشيوس الحكيم	172
أكرم بها من معصية!	173
جوزة الهند	174
صوت المغني يملأ القاعة	175
شكراً ونعم	177
سمعان بطرس	179
المرأة السامرية	181
إغناطيوس من لويولا	183

سلسلة الحكمة

صدر منها:

1. طاغور، طيور شاردة، ترجمة ديمتري أفيريبنوس
2. ديمتري أفيريبنوس، مقالة في التقمص
3. أنتوني دو ملو، غناء الطائر، ترجمة أديب

سيصدر منها:

4. إرنست وود، اليوغا: فلسفة الانعتاق والاتحاد، ترجمة ديمتري أفيريبنوس
5. ديمتري أفيريبنوس، العين الثالثة
6. برمهنسا يوغانندا، قصة حياة يوغانني، ترجمة زكي عوض
7. والبولا راهولا، تعاليم البوذا، ترجمة ديمتري أفيريبنوس
8. ج. كريشنامورتي، الحرية الأولى والأخيرة، ترجمة ديمتري أفيريبنوس
9. هيلينا بتروفنا بلافاتسكي، مفتاح الثيوصوفيا، ترجمة ديمتري أفيريبنوس